البرج المائل

حسناء حمدي

اسم الكتاب: البرج المائل
التأليف: حسناء حمدي
موضوع الكتاب: خواطر
عدد الصفحات: **112**
عدد الملازم: 7ملزمة
مقاس الكتاب: **20 x 14**
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: **2016 / 16405**
الترقيم الدولي: **978 - 977 - 278 - 558 - 3**

التوزيع والنشر

دار البشير للثقافة والعلوم

darelbasheer@hotmail.com
darelbasheeralla@gmail.com

01012355714 - 01152806533

١٤٣٧هـ
٢٠١٦م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من:

دار البشير للثقافة والعلوم

الشجاعة.. هي أن تتحمَّل صاعقةَ الرَّفض

حين تقرِّر أن تتفوَّه بما يخالف الرَّكب.

« قلتها يومًا وما زلت أؤمن بها »

إهداء

إلى من تربّعوا على عرش قلبي.

إلى ابتسامة أبي.. وضحكة أمي.

وإلى من رَحلت بلا عودة؛ لتجعلني في اشتياقٍ أبدي.

إلى القبور التي تحتضن شهداء أوطاني.

وإلى أبرياء أوطاني المقيمين خلف القضبان.

إلى نقاء الأرواح

إلى كل حُلمٍ بعيد

وإلى كل ضحكةٍ عالية

إلى الغد.

شكرٌ..

إلى د.إبراهيم الفقي- رحمه الله- الذي علمتني كلماته كيف أبدأ وكيف أصل.

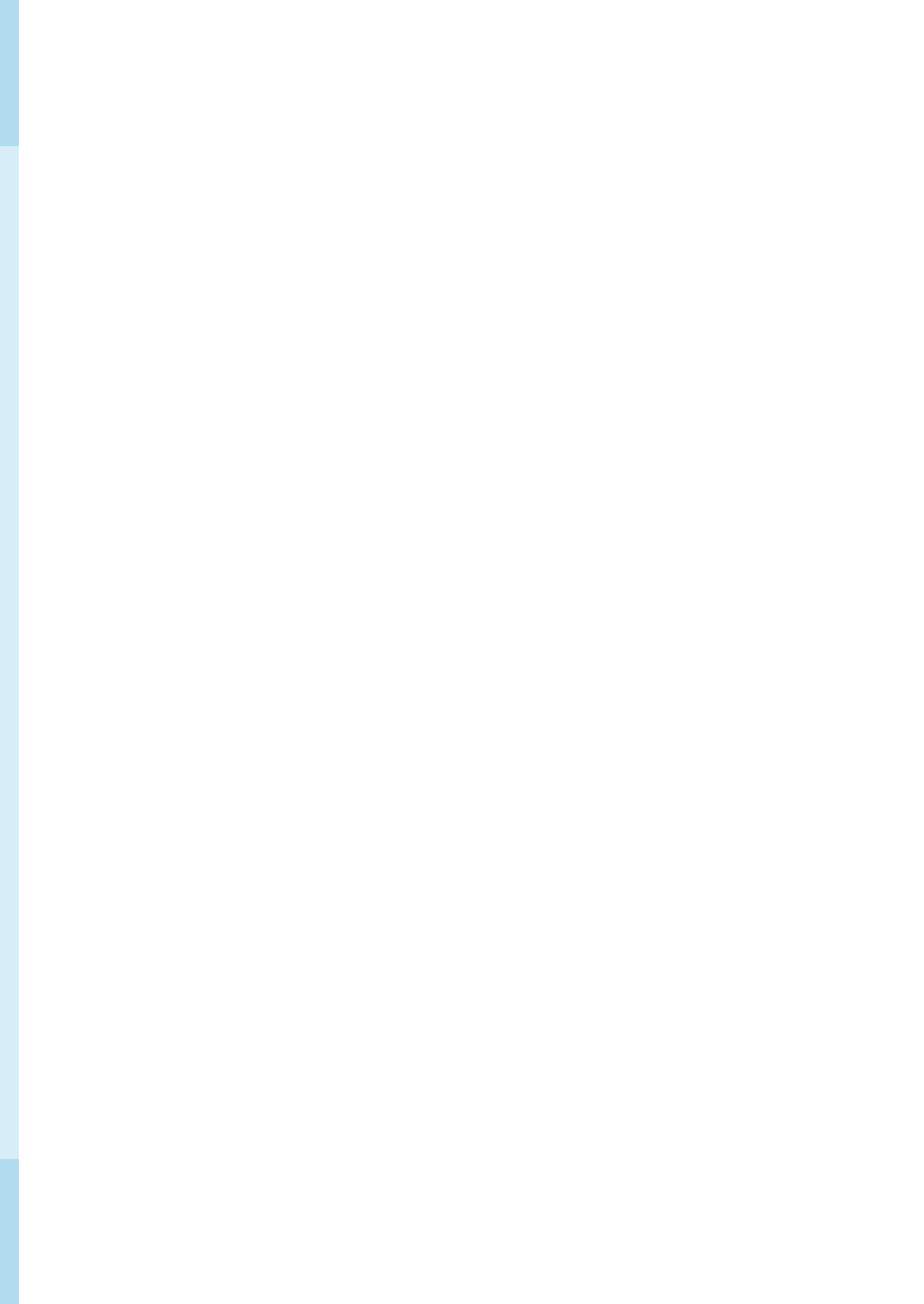
وإلى الكُتب.. تلك التي علمتني الكثير والكثير.

إلى والدي ووالدتي.. هبة الله لي.

وإلى أخواتي اللاتي لم تنجبهن أُمي.

إلى كُلّ مُهتمّ بما أكتب..

وإليـك.



ما قبل المقدمة

إهاناتٌ كثيرة في زماننا هذا يا سيدي!

إهاناتٌ لشعائر الدين؛

فالحجاب ما عاد يليق به قول (حجاب)

والصلاة ما علموا عدد ركعاتها

إهاناتٌ للأوطان؛

فالعروبة ما عادت فخرًا لنا

حقوقنا تسلب، ونقف صفوفًا، لا للجهاد! بل للمشاهدة فقط

نرى ما يحدث وكأننا نشاهد فيلمًا على شاشة التلفاز

وإهاناتٌ للمشاعر؛

أصبح الحب كلمةً بعد ما كان قوةً بفطرتنا

أصبح الحب لعبة حظٍّ ومحادثة على شاشة جهازٍ إليكتروني

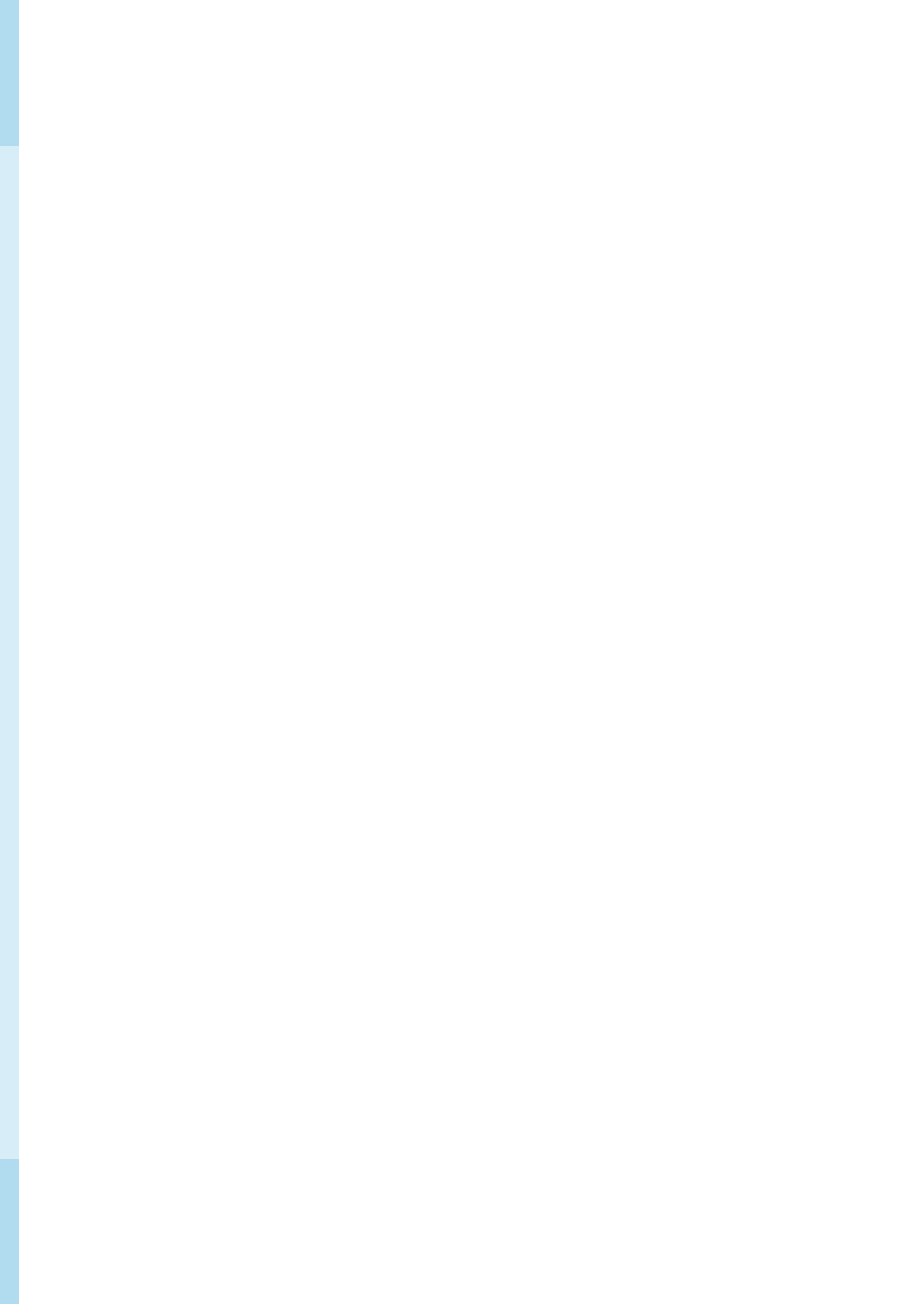
أصبح التسامح إهانةً للكرامة

وصار الحقد منهجًا للحياة.

حتى الكتب يا سيدي، أهانوها كثيرًا؛

يتداولون رواياتٍ تافهة..

تحمل بين سطورها أحداثًا لا فائدة منها، وكلماتٍ وقحة.



مقدمة

اليـوم، وبأيدينا نحن، نلطخ لوحة مجتمعنا التي رُسم عليها المَجد، بلون الظلمة القاتم..

نحن نسيء لكل شيء، ومن أجل اللا شيء!

نحن هدرنا أوقاتنا، قلدنا أعداءنا، وأصبحنا نبتعد عن ديننا شيئًا فشيئًا.

حقيقةً، لقد تخلينا عن مجد عروبتنا الذي بناه الإسلام لنا.

وبإرادتنا نهدم كل شيءٍ بيدٍ خُلقت لتبني.

والمذهل! أن اليد التي تبني باتت تخشى البناء.

نغلق أفواهنا عن الحق، نيأس من التغيير، ونرى الخطأ بأعيننا فنمر بجانبه في صمت.

نسينا أو تناسينا أن لكلٍّ منّا بناءً يشيده، تناسينا أننا خُلقنا لهدفٍ عظيـم أصبح آخر ما نهتم به.

فنحن أحيـاء؛ لنعمر الأرض.

وعلى أية حال، مازلت أعتقد أن المقدمات ليست سوى نقرٍ خفـيف على أبواب الصفحات.

«الشيء الوحيد الثابت في الحياة هو التغيير المستمر»

(هيرقليطس)[١]

---

(١) هيرقليطس: فيلسوف يوناني، قبل سقراط، قال بالتغيّر الدائم، وكان من الأسرة المالكة في مدينة (أفسس) بآسيا الصغرى.

حلقاتها

ضاقَت فلمّا استَحكَمت حَلقاتُها فُرِجَت وكنتُ أظُنها لا تُفرَج

قالها الشافعي، وما زلنا نرددها كمثيلاتها من أبياته الحكيمة؛ فنسمعها دائمًا من المتفائلين في أوقات المصائب! على أمل أن يكون الشافعي محقًّا في قوله..

ولكن!

هل تقتصر حلقاتها تلك على مشكلةٍ أو مصيبة كمرضٍ مزمن أو أزمةٍ مالية؟!

إني أرى أن تلك الحلقات الضيقة تحيط بمجتمعٍ كامل، إنها- بلا مبالغة- تحيط بنا جميعًا حتى كادت تخنقنا.

إن الحال الذي باتت عليه مجتمعاتنا العربية هو أكبر كربٍ أصابنا، لكننا لا نستطيع أن نقف في صمتٍ منتظرين فرجًا بعد ضيق!

في الحقيقة.. ليس بوسعنا أن نقدم سوى التغيير.

إننا- وبلا ريب- أسرى في قيودنا نحن!

وأكثر الحلقات ضيقًا ما هي إلا حلقةٌ صنعناها نحن.

فسوء حال التعليم- على سبيل المثال- ما هو إلا نتيجة لأفعال سابقة ارتكبناها!

إن المدرسة.. خالية من المعلمين؛ لأن المعلمين لم يحضروا! والمعلمون هم نحن؛ ففي كل أسرةٍ معلم.

إننا فقط من نرتكب الذنب!

يخفق طلابنا في الدراسة؛ لأننا لم نعلّمهم تقبل الدراسة، هكذا التعليم وغيره الكثير.

وإن قررنا فقط أن ننتظر الفرج، فسنكون جماعةً- عذرًا- من الحمقى! فلن تمطر السماء فرجًا مع حبات الغيث ونحن في منازلنا نفتح النوافذ بهدوء ونشاهد الفرج يتساقط من السماء!

إن هذا فقط في خيال طفلٍ يتمنى أن تسقط الغيوم الحلوى.

إن علينا جميعًا أن نعلم أن القرار بأيدينا! إما أن نغير هذه الحال معًا أو نبقى ننتظر حتى الموت.

ولأنني أعيش في مجتمعي العربي مثلك تمامًا؛ فأنا أعلم أن فكرة التغيير بالنسبة لمعظمنا فقط عنوانٌ مناسبٌ للسخرية غالبًا ما يتبعها المقولة الشهيرة: «وهل سأغير أنا المجتمع بأكمله!»

لِمَ نرى أن التغيير عملٌ في عالم المستحيلات لا يقدر على فعله سوى أبطال الرسوم المتحركة الخارقون؟!

إنه قد يكون شيئًا صعبًا؛ لأننا سوف نكون بدأناه في وقتٍ متأخر.

لكنه بالتأكيد.. ليس شيئًا مستحيلًا!

إن اليَد الواحدة- كما نعلم جميعًا- لا تصفق!؛ لأنها واحدة فقط.

لذلك؛ علينا جميعًا أن نعملو كلٌّ قدر استطاعته! وكلٌّ بيده.

هنا.. بين هذه الصفحات التالية، لن أرهق قلمي ليصف مشكلاتنا صغيرها وكبيرها فقط! لأنك- على الأرجح- تراها وتعرفها!

لكنني في الحقيقة أريد فقط أن أقول لك.. إنك تستطيع التغيير.

«إمّا أن نبدأ التغيير، وإمّا أن نغرق جميعًا»

(ح.ح)

سيَّان

مثلك تمامًا، أجالس الكثير يوميًّا، أترك منزلي لأسباب ما.. فأقابل الكثير وأستمع إلى أحاديثٍ لا تنتهي كل يوم، ولا ريب أنّ هذا يحدث دائمًا، جميعنا في الخارج، جميعنا يتحدث، وجميعنا نستمع.

لكن الأمر مختلفٌ تمامًا عندما يحدث هذا في إحدى الدول العربية.

لأنك حينها لن تسمع سوى التذمر فقط لا غير، وكأننا جميعًا نحصي أكثر ما يحيط بنا من السوء لنتحدث عنه بسخط.

يتكرر المشهد كل يوم، بنبرة الصوت الخالية من الرضا ذاتهاو وبنفس النظرات الساخطة. ولنكن أكثر صراحةً؛ فهناك الكثير لنتذمر منه، لا سيّما ما يحيط بنا من أفعالٍ لا نقبلها.

فأنا وأنت مثلًا نتذمر يوميًّا من إهمال النظافة في أحياء بلداننا أو شوارعها، وخاصةً القرى والريف، مع أننا في الحقيقة قد نكون السبب الأول فيما لا يرضينا، نحن نخطئ وهم يخطئون، ونحن نتذمر من الخطأ وهم مثلنا تمامًا!

لا أعلم لِمَ تسير الأمور على هذا النحو! لكنها تسير هكذا بأية حال.

فكلُّ من يتذمر من إهمال النظافة! كان جزءًا من هذا الإهمال.

نحن نفعل هذا بأيدينا ونلقي اللوم على «المجتمع»؛ مع أننا لم ندرك ما هو المجتمع.. فما هو إلا نحن، أنا وأنت وهُم.

المجتمع في معاجم اللغة هو: جماعة من الناس.. إذًا، نحن نلقي اللوم علينا!

نعلم أننا مخطئون، لكننا لم نتغير منذ سنوات؛ لأننا فقط نتذمر، وننتظر حلول مشكلاتنا تسقط علينا مع المطر!

مع أننا نستطيع حل مشكلاتنا، فقط.. عندما نلجأ للتغيير.

(التغيير) الذي نظنه من المستحيلات التي يعجز عن فعلها البشر!

التغيير الذي لم يتجرأ أحدهم على فعله منذ سنوات، مع أننا بأشد الحاجة إليه بعد هذا التيه!

لم أقل لك أن توحّد البلاد العربية، أو أن تصِل إلى المجرة المجاورة!

فقط.. يمكنك أن تغير يمكنك أن تفكر في كل أفعالك، فتمتنع عن الخطأ.

يمكنك أن تخفض صوتك أثناء الحديث..

أن تحافظ على نظافة الحي الذي تسكن فيه!

يمكنك أن تخفض سرعة سيارتك..

أن تمتنع عن الرشوة..

أن تمتنع عن البدع!

يمكنك أن تمارس عملك بإخلاص، وأن تكف عن إيذاء من حولك.

لا تتسرع بالرد الذي اعتادت عليه ألسنتنا مرددةً بسخرية: وهل سأغير أنا المجتمع بأكمله!

في الحقيقة، أنت تستطيع..

تستطيع أن تغير المجتمع عندما تدرك أن الحل هو التغيير لا التذمر، تستطيع أن تغير أخطاءك عندما تدرك أنك أحد المذنبين.

عندما ندرك أن التغيير ليس معجزة!

وندرك أن مجتمعنا يسقط إلى الهاوية؛ بسبب أفعالنا التي أصبحت منهجًا نسلكه في حياتنا، إنها أسلحةٌ صغيرة لكنها تُحْدث تدميرًا شديدًا.

سنتذكر حينها قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾[1].

سيكـون التغيير هو أول اهتماماتنا، وسننجح؛ ان امتلكنا قوة الإرادة التي تكمن بداخلنا!

المجتمع، قد يكـون أسرتك.. وقد يكون مقر عملك أو دراستك.

لا تدع الخطأ يمر أمام ناظريك وأنت واقفٌ بلا حراك.

عليك أن تنتبه، أن تنصح، تحذر، تبين وتثبت.. في الحقيقة، عليك أن تغير.

لا تتذمر؛ إمّا أن تُغير أو أن تقبل بالتغيير

---

(١) سورة الرعد. آية رقم ١١

فأولئك الذين كُتبت أسماؤهم في صفحاتنا وبين أسطر كتبنا ممن قيل إنهم عظماء لما فعلوه في حياتهم ولما بنوه من مجد؛ لم يكونوا سحرة!

لكنهم فقط حلموا بالتغيير، وخططوا للبناء.. وامتلكوا قوة الإرادة الكافية ليصنعوا تاريخهم بأيديهم.

فلنبحث مثلًا عن (محمد بن عبد الوهاب)[١] بين صفحات التاريخ من بداية حياته حتى وفاته، لم ينجح بكل خطوةٍ لكنه نجح في تغيير مجتمعٍ بأكمله حتى جعله خاليًا من البِدع والشركياتٍ!

نجح قلمه في أن يكتب منهجًا نسير عليه لسنوات.

بإمكانك أن تفعل.. حين تشاء، وتبدأ.

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان آل مشرف التميمي، عالم دين سني على المذهب الحنبلي وهو من مجددي الدين الإسلامي في شبه الجزيرة العربية؛ حيث شرع في دعوة المسلمين للتخلص من البدع وتوحيد الله ونبذ الشرك.

«كن أنت التغيير الذي تريد أن تراه في العالم»

(المهاتما غاندي)[١]

(١) المهاتما غاندي: موهانداس كرمشاند غاندي، كان السياسي البارز والزعيم الروحي للهند خلال حركة استقلال الهند. كان رائدًا للساتيا غراها وهي مقاومة الاستبداد من خلال العصيان المدني الشامل، وهو معروف في أنحاء العالم باسم «المهاتما غاندي»

عيونٌ مفترسة وألسنةُ الأفاعي

على أرصفة الشوارع وفي المجمعات الكبيرة، في الحدائق وفي أي مكانٍ تلقى به أناسًا غيرك!

ترى مَن بجانبك ينتقد ذاك المار أمامه، وتسمع ذاك المارَّ يعيب من كان بجواره، لتصل إلى مسامعك تمتماتٌ من امرأة ثلاثينية اعتقدت أنها تخفض صوتها وهي تستهزئ بإحداهن.

إنها المهزلة! تلك الكلمة التي لا تستطيع المعاجم تفسيرها بقدر الدقة التي يفسرها بها مجتمعنا.

تنفصل عين كلٍّ منهم لترى عيب ذاك وتلك؛ لتترك للسانه بقية المهمة في إلقاء كلمات السخرية والانتقاد أو حتى التعجب!

المهزلة، التي تتكرر كل يومٍ وكل ساعة وكل لحظة.. وفي كل مكان.

لِمَ؟

سؤال صعب يكاد يكون مجهول الإجابة.

لكن الأسباب على الأرجح قد تكون أننا مجتمعٌ يغلب عليه جهل الفكر؛ فلا يملك أغلبُ من به سوى الهراء.

وكأن المتعة تعني فقط أن تفترس من حولك بنظراتٍ تختلف معانيها لكنها تتفق في قبحها.

فنظرات الحقد لا تختلف كثيرًا عن نظرات الاستهجان، ونظرات الاستهجان تحمل نفس الكراهية في نظرات الحسد. جميعها اتفقت على أن تعبث بخصوصيات الآخرين وشخصياتهم، أفكارهم، جنسياتهم وأشكالهم ولهجاتهم ودياناتهم فقط؛ كي..

كي ماذا؟ حتى الآن لا أعلم!!.

طحية.

إنه لم يكن مجرد تصرف خاطئ ارتكبه البعض؛ بل إنه أصبح منهجًا وشيئًا اعتياديًّا في الحياة كالطعام والشراب والهواء.

وكأن العين خُلقت من أجل التأمل في العيوب وخُلق اللسان ليتحدث عنها!

لَمِ لا نبحث عن مشكلاتنا لنحلها؟ وعن عيوبنا لنغيرها؟ لَمِ نهتم بهم فقطَ؟! لَمِ تقتصر نقاشاتنا عليهم؟

أسئلة كثيرة يجيب عليها حال المجتمع الآن.

لا أبالغ حين أقول إن وضع مجتمعاتنا يرثى له!

لأنها الحقيقة التي رسمناها وسطرناها بأيدينا.. ورضينا بها.

لا نهتم بمشاكلنا وإنجازاتنا بقدر اهتمامنا بتوافِه الأمور.

جميعنا يعلم أنه قبحُ الفعل بعينه

جميعنا يعترض.. ومنا من يفعل ويعترض لكننا في النهاية لا نملك حلولًا؛ وربما لأننا لا نملك أسبابًا مقنعة.

فلو سخرت فمك فقط لقول ما يجب قوله وسخرت عينيك لرؤية ما يجب رؤيته؛ سنكون أفضل بكثير.

فمما يروى عن الإمام على بن أبي طالب- رضي الله عنه- أنه قال: **(يَا أَيُّها النَّاسُ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيبُهُ عَنِ عُيوبِ النَّاس، وَطُوبى لِمَن لَزِمَ بَيتَهُ وأَكَلَ قُوتَهُ واشْتَغَلَ بطاعَةِ رَبِّهِ وبَكَى عَلَىَ خَطِيئَتِهِ، فَكانَ مِن نَفسِهِ في شُغُلٍ والنَّاسُ مِنهُ في رَاَحَة)**[1].

هل أكرر أننا مجتمعٌ يغلبُ عليه الجهل الفكري؛ فلا نمتلك سوى الهراء!

الهراء وتلك الكلمات السقيمة التي تخرج كالسم من ألسنة الأفاعي معقبةً على ما رأته العين من عيبٍ أو حتى ما رأته مما لم يرضِهَا.

هل تكفي الثمانية وعشرون حرفًا لوصف قبح ما يحدث؟

في الحقيقة لا تكفي، لا تكفي الصفحات والأسطر ولا حتى الكلمات.

مزعجٌ للغاية، أن يكون كل ما يشغلنا هو أفعال الآخرين ومظاهرهم! مؤسفٌ جدًّا أن نصل إلى هذه الدرجة من السعندما نمتنع عن اقتحام خصوصيات من حولنا، عندما لا ننتقد لمجرد الانتقاد!

وعندما نكف عن الحسد، الحقد، الاستهجان والتطفل؛ سنكون أفضل.

فعلى الأقل سيهتم كلٌّ منَّا بما عليه الاهتمام به..

وهكذا سنرتقي بمجتمعاتنا حقًّا.

---

(١) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي: ابن عم رسول الله محمد ﷺ، وصهره، من آل بيته وكافله؛ حيث توفي والداه وجده وهو أحد أصحابه ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد المبشرين بالجنة.

«تضعك المعرفة في صفوف الحكماء، ويضعك العمل في صفوف الناجحين، ويضعك التفاهم في صفوف السعداء»

(إبراهيم الفقي)[(١)]

(١) إبراهيم محمد السيد الفقي: خبير التنمية البشرية والبرمجة اللغوية العصبية، واضع نظرية ديناميكية التكيف العصبي ونظرية قوة الطاقة البشرية

تحت الثرى

بعيدًا عن مهارات كثيرة نتعلمها يوميًّا! أو قدراتٍ جسدية كرمنا الله بها، فهناك قدراتٌ أخرى لا حد لها في عالم البشرية.

قدرات هائلة قد تعجز الأقلام عن وصفها وتعجز الأوراق عن احتواء معانيها التي لا حصر لها!

قدراتٌ ميَّزنا الله بها.. لكلٍ منَّا ما يميزه منها، حتى وإن كنا نشترك سويًّا في نوعها، فإننا نختلفً دائمًا وأبدًا في أسلوبها وصورتها! تمامًا كالبصمة.. أو قد تكون أقرب للهوية.

هويتك هي أنت، وكأنها عنوانك في الحياة.. هكذا هي قدراتك اللا محدودة تلك.

وهكذا هي موهبتك التي لم تدرك قيمتها بعد!

كنت وما زلت أعتقد أننا خُلقنا مسلحين بأسلحةٍ ذي بأسٍ شديد.. وحقيقةً، أنا مؤمنةٌ بهذا تمامًا.

فما كان السلاح يعني آلات ودمارًا ودماءً فقط..

السلاح حقيقةً هو القوة، القوة الموجودة في حياة البشرية عامةً لكنّ الله قد وضعها على ساعدي كلٍّ منَّا بشكلٍ مختلف.

القوة العظيمة التي وُهِبْت القدرة على التحكم بها.

وكأن كل ما عليك طيلة حياتك؛ هو أن تهتم بها وتنميها فتستخدمها في طريق نجاحك.

وتنفع بها دينك، وطنك، أهلك ونفسك.

فلأنك خلقت لتحقق شيئًا ما؛ وضع الله بين يديك قدراتٍ عظيمة تسعى بها لتحقيق إنجازاتك، وحلمك.

ولأننا مستهترون؛ فنحن دائمًا ما نتجاهلها ولا نعيرها اهتمامًا أبدًا، نتناساها ونهملها حتى تذبل كنبتةٍ منعنا عنها مقومات الحياة، فتضعف وتتلاشى حتى تبدأ هويتك بالاختفاء من حياتك!

لتبقى في هذه الدنيا وحيدًا بلا قوة، بلا شيءٍ يدفعك في طريق حلمك،

إن بقى لديك حلم!..

كنا وما زلنا نسمع دائمًا تلك العبارات التي نتلقاها عادةً كنصائح تنص على أنه علينا أن نشكر نعم الله ونحمده عليها ولا نستعملها إلا فيما يرضيه.

هكذا تعلمنا، وهذه هي الحقيقة بالفعل.

فنحن لا نرفض نعم الله أبدًا مهما كانت الظروف، لن ترفض المشي بعد شفاءٍ من الإعاقة، ولن ترفض وظيفة جيدة بعد سنواتٍ بلا عمل، لن ترفض طعامًا حلالًا يسد جوعًا شديدًا، وكذلك.. لن ترفض أبدًا قوةً وهبك الله إياها.

تمسك بها جيدًا، اعرف قدرها، اشكر الله عليها، ضعها في قلبك مع من تحب، واهتم بها وارْعَها حتى تكبر.. احْمها من كل مثبّطٍ ومحْبط!

وبعدها فكِّر كيف تنفع بها نفسك ودينك ومجتمعك.

هكذا تنجح المجتمعات، عندما يدرك كل فردٍ بها كيف ينفعها.

نبتتك الصغيرة- موهبتك- بين يديك.. حافظ عليها بكل جهدك، فأنت تحافظ على ذاتك وهويتك.

لا تسمع كلمات الاستهزاء من هذا وذاك! ولا تبالي بالمحبطين هنا وهناك، فهذه على الأرجح هي جلّ وظائفهم في الحياة.

تذكر أن هناك من نجحوا قبلك عندما آمنوا بقدراتهم، ولا تتوقف أبدًا.

أما أولئك الذين ما زالوا يبحثون عن هوياتهم، فسيجدونها يومًا تظهر لهم في تجاربهم.

ستعلم جيدًا ما يميزك وما تقدر على فعله، ستعرف اهتماماتك وميولك عندما تؤمن أنه لديك قوةٌ بداخلك، وأنك قادرٌ على فعل أكثر ما تتوقع.

«الإبداع هو النظر للمألوف بطريقة غير مألوفة»

(طارق السويدان)[١]

(١) طارق السويدان: باحث ومفكر وداعية إسلامي- ومدرب محترف في الإدارة والقيادة، اشتهر ببرامجه الإذاعية التي تتناول التاريخ الإسلامي والفكر وتنمية القدرات والأداء.

العائق الأكبر

إن طرقاتنا ليست ممهدة وخالية كما يعتقد البعض منّا؛ لذلك قليلٌ هم من يستطيعون الوصول إلى النهاية.

هناك حواجز وعوائق يضعها المجتمع في طريق كل منّا، وهناك ما يبنيه القدر!

لكن أكبر عوائقنا التي تدوم طويلًا؛ هي من صنعنا نحن..

أن تبني حاجزًا كبيرًا في منتصف طريقك؛ ليحول بينك وبين نجاحك! هذا يعني أنك بدأت تخطو أول خطواتك في طرق الانهزام الذي لا مكان لك به.

اليأس هو العائق الكبير الذي قد تشيده في طريقك دون إدراكٍ منك، إنه التحدي الأكبر، لكن هدمه هو أسهل ما يمكن؛ فقط عندما تريد ذلك.

لقد كنت تسير في بداية طريق نجاحك على أية حال!

وهذا يعني أنك تستطيع السير هنا.. عليك أن تجدد الإرادة التي دفعتك للبداية والهدف الذي جعلك تخطو الخطوة الأولى إنه الذي ستكمل السير لأجله؛ فأنت أقوى من أن تُهزم.

وإن كنت غير ذلك لم أكن لأراك هنا..

استطعت الوصول إلى هنا؛ لأن لديك إرادة دفعتك إلى هذه النقطة.

أن تيأس.. هذا تمامًا كرجل خطط لسرقة منزله! انها حماقة في رأيك بالطبع؛ لذلك لا ترتكبها.

هذا المجتمع المدمَّر- جرّاء ما نفعل- بحاجة إلينا، وأنت تعلم ذلك، حتى إن كنت تتجاهل هذا أو تتناساه!

لكنه حقيقةً على كل حال.

فإذا شيد كل منّا حاجزًا باليأس سنكون «لا شيء» قريبًا.

إنه مزعج للغاية أن نكون أنت وأنا والبقية، مجرد (لا شيء)

لا مجتمع، لا وطن، لا هوية.. وطريقٌ لا نستطيع إكماله.

لا نريد تخيل هذا! فلا حاجة لنا بتخيل لوحة سوداء فارغة، لكنها ستكون هكذا إن ضللنا طرق نجاحنا جميعًا، واستسلمنا لأكبر العوائق هنا.

أنا أعلم أن هذا لن يحدث، وأنت على يقين من هذا؛ إن كنت تصدق الحقيقة لا الانهزام،

فالحقيقة هي أن اليأس يهاجمنا جميعًا، لكن البعض فقط من يسقط أمامه ويستسلم له.

ربما لم يدركوا أنهم يدمرون أحلامهم ومجتمعاتهم وحياتهم!

لكنهم سيدركون هذا يومًا ليهدموا حواجز اليأس تلك، حتى وإن أتى هذا اليوم بعد سنوات.

أما نحن..

لا أعلم تمامًا ماذا أقصد بـ (نحن)! ربما أنا وأنت!

نحن أولئك الذين لم نيأس بعد، قد ترهقنا عثرات الحياة أحيانًا، لكننا لم نرتكب جريمة حاجز اليأس بعد.

أن ترهقك جهودك الكثيرة، أو حتى مشكلاتك الدائمة التي لا حصر لها، هذا لا يعني مطلقًا أنك وضعت حلمك وأهدافك ونجاحك جانبًا وتفرغت للشعور باليأس.

قد تقف قليلًا على أحد جوانب الطريق، قد لا تقوى على أن تكمل! لكنك حتمًا ستعود لتكمل السير هناك.

أنت تبحث عن هويتك ونجاحك بين تفاصيل تلك اللوحة المرسومة بيديك، الموجودة في آخر هذا الطريق.

فليس هناك أي داعٍ لبناء أي عوائقٍ تدمرك أنت والمجتمع معًا!

« لا يغرق المرء لأنه سقط في النهر، بل لبقائه مغمورًا تحت سطح الماء »

(باولو كويلو)[١]

(١) باولو كويلو: روائي وقاص برازيلي وهو عضو بمعهد شيمون بيريز للسلام، مستشار اليونسكو للتبادل الحضاري الروحي، عضو المجمع اللغوي البرازيلي، ومن أهم أعماله (الخيميائي، الزانية، الجبل الخامس)

في سجل المفقودات

حياة البشرية بأكملها قائمة على العلاقات وتعامل كلٍ منا مع الآخرين.

لكلٍ منا شخصيته، فكره، أخلاقه ومبادئه، التي تظهر دائمًا في تعامله مع من حوله،

ولأن كل منا بمثابة حجرٍ في بنيان المجتمع؛ فإن هذا يعني أننا نكمل بعضنا البعض في مجتمعاتنا.

ولذلك دائمًا ما نجد روابطًا كثيرة بيننا، ربما صلة القرابة، الصداقة، أو حتى الجيرة!

تختلف الروابط لكن المبادئ تبقى كما هي.

وبكل أسف، إنك عندما تبحث بين سجلات المفقودات لدى العرب! ستجد مبادئنا تتصدر القائمة.

مبادئ المودة بيننا، وتلك الأخوة في الدين التي كانت أقوى من أخوة الأرحام!

أين هي؟!

سؤال مؤلم، وجوابه يزيده ألمًا.

فعندما تبحث عن نقاء العلاقات، أو حتى التعامل!؛ لن تجد سوى المشكلات.

نقاشاتٌ حادة كثيرة تقام بيننا لتنتهي بالنزاع، أخطاء صغيرة يرتكبها أحدهم بغير قصد فيعاقب عليها بقسوةٍ كبيرة.

تلك الألفة بين أفراد العائلة، وذاك العفو المطلق بين الأصدقاء، المودة للجار..

أين هم؟

ابحث هنا وهناك، في هذا الحي وفي تلك البلدة وبين هذه المجتمعات؛ ستجد ورود مودتنا كادت تموت.

عندما كنا صغارًا، في درس الأخلاق الحسنة.. كنا ندرس صدقًا واحترامًا ومحبةً وتسامحًا!

كان التسامح خلقًا عظيمًا نتعلمه صغارًا؛ لنطبقه دائمًا، كانت ابتساماتنا هي ردود أفعالنا على بعض أخطاء الغير!

كنا ننصح، ونحاول توصيل الفكرة! ثم نبتسم ونصافح وكأن شيئًا لم يكن.

كنا أنقياء، ربما!

لِمَ (كنا) فقط؟!

لِمَ أصبح كل هذا بين طيات الماضي وقد بتنا لا نحمل في قلوبنا سوى الكراهية والحقد، حتى المحبة بيننا بها الكثير من الشوائب والأشواك.

لِمَ يسيء كل منا للآخر؟

لِمَ لا نعفو ونصفح؟ لِمَ لا نتناسى أخطاء الغير لنعيش بسلام؟!

ساذجة تلك التي تسأل ولا تجيب.

لكنني حقًّا، لا أملك مبرراتٍ لازدحام قلوبنا بأسوأ المشاعر التي يحملها كل منّا للآخر.

افتح مصحفك، وتأمل حب الله بين آياته عز وجل للعافين عن الناس، كقوله تعالى: ﴿**وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾(١).

﴿**فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ**﴾(٢).

إن التسامح المفقود بيننا هو من أعظم الأخلاق التي يحبها الله في عباده ويذكرها في محاسنهم، وفي تاريخ رسولنا محمد ﷺ؛ لن تجد بين صفاته وخُلقه أجمل من عفوه وصَفْحه عن قومه!

فكيف لنا أن نردد في مدارسنا ومساجدنا ومنازلنا تلك الكلمات المعهودة التي تنص على أن رسولنا هو قدوتنا الأفضل، ونحن لم نستطع الاقتداء به في أجمل أخلاقه؟!

لِمَ نردد كلماتٍ بلا صدق بمعانيها كالمنافقين؟!

لِمَ لا نمحو المشاعر السوداء من صفحات قلوبنا وعقولنا؟؛ لنكمل علاقاتنا وتعاملنا مع من حولنا بنقاء ومودة.

لِمَ لا تنسى خطأً ارتكبه أحدهم في حقك يومًا؟!

اصفح عنه..

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٣٤

(٢) سورة الحجر، آية ٨٥

ابتسم بصدقٍ لمن يعيشون معك، يعملون معك، أو حتى من تصادفهم في شارع مدينتك.

فعلى الأقل، حينها سنستطيع أن نتكاتف لنرقى بمجتمعاتنا إلى القمة التي ننظر لها من الأسفل.

ليزداد مجتمعنا العربي قوة؛ علينا أن ندعمه.. فنحن دعمه الأول والأخير!

وما من بنيانٍ قط يكتمل وقد تفككت أجزاؤه.

كُن صادقًا مع ذاتك واقتدِ بمن قال عنه أنس بن مالك- رضي الله عنه-: «كُنتُ أَمشي مَع رَسول الله ﷺ وعليه بُرد نَجْراني غَليظ الحاشِيَة، فأدرَكهُ أعْرابي، فجبَذهُ بردائه جَبذةً شَديدَة، فنظَرتُ إلى صَفحَة عاتق النَّبي ﷺ وقَد أثَّرت بها حَاشِيَة الرِّداء من شدَّة جَبذتُه، ثُم قال: يا مُحمَّد مُر لي مِن مالِ الله الذيَ عِندَك، فالتفَت إليه فضَحك ثُم أمَر له بالعَطاء»

كان هذا خلق رسولنا ﷺ، من ندَّعي أننا نقتدي به.

فلنكن أكثر صدقًا ونقتدي به حقًّا.

«الحياة أقصر من أن نقضيها في تسجيل الأخطاء التي يرتكبها غيرنا في حقنا، أو في تغذية روح العداء بين الناس»

(براتراند راسل)[١]

---

(١) براتراند أرثر ويليام راسل: فيلسوف وعالم منطق ورياضي ومؤرخ وناقد اجتماعي بريطاني، قاد الثورة البريطانية (ضد المثالية) في أوائل القرن العشرين، حاز عام ١٩٥٠ على جائزة نوبل للأدب.

نشأة دمار

جميعنا مزارعٌ يرعى محاصيله..

جميعنا مسئولون وجميعنا نزرع لنحصد.. ولكن ماذا نحصد؟

نحصد مراهقاتٍ يتلاعب بهن الشباب،

نحصد أطفالًا يحفظون الغناء عن ظهر قلب،

نحصد مدخنين ومدمني مُخدرات،

نحصد شبابًا عاطلًا عن العمل.. ونحصد الكثير مما شابه ذلك.

إنها الحقيقة.. هذا ما نزرعه نحن بالناشئة لتكون هكذا، هذه أجيالنا التي ستحرر الأقصى كما نزعم!

كم نحن منافقون! أو ربما هذا ما زرعوه بنا أيضًا، أن ندَّعي كل ما هو عظيم ثم نفعل ما يخالفه تمامًا!.

نحن ندرك- أو ربما لا ندرك- أن أخلاقنا في منحدر قاسٍ، مبادئنا، أفكارنا وشخصياتنا!

أطفالنا وأجيالنا القادمة كذلك.. مع أننا نعلق عليهم آمالنا إلا أننا لا نعلمهم تحقيق هذه الآمال حتى.

لا نعلمهم كيف يحلمون أو يطمحون، لا نكتشف مواهبهم اللا محدودة بداخلهم فنتركها سجينة الأفكار السطحية التي كادت تسيطر على أغلب الأحياء هنا.

نحن على كل حال.. مذنبون في مسؤولياتنا، أمام الله ثم أمامهم والمجتمع!

بُنيان كبير يُدعى المجتمع كُل ما علينا هو أن نشيده برقي وعلم فيعلو ليقابل زرقة السماء بأجيالٍ من الحكماء تسكن بين زواياه، هذا بنياننا الذي نأمل.

ولكن.. ماذا تتوقع من طفل في الثامنة من عمره- مثلًا- يقضي نصف يومه في النوم ونصفه الآخر جالسًا أمام شاشة التلفاز!

وماذا ستحصد من مراهقةٍ لا تقرأ كتابًا! بل إنها غالبًا تكره الكتب!.

أي بنيانٍ هذا الذي سنرتقي به وبين زواياه أجيالٌ هشة! جيلٌ يعظم (سوبر مان) وهو لا يعلم شيئًا عن خالد بن الوليد.

جيلٌ يتعصب لفريقٍ بكرة القدم ولا يتعصب هكذا لنبيه!

مسؤولية من هذه؟.. إنها وبلا أدنى شك مسؤوليتنا جميعنا، ونحن أول المذنبين.

أولئك الأطفال، أو حتى المراهقون.. تكمن بداخلهم طاقةٌ كبيرة وقوةٌ أكبر!

بداخلهم قدرةٌ لا محدودة على فعل أي شيءٍ يرغبون بفعله!

ابحث داخل كلٍّ منهم عن موهبةٍ لينميها.

ابحث عن فصاحته، ودعه يلقي شعرًا عن عروبتنا.

ابحث عن ورقة صغيرة بجانب سريره رسم بها شيئًا صغيرًا.. وأحضر له لوحةً يرسم بها الأقصى.

وابحث عن أوراق على حافة مكتبه الخشبي نثَر عليها بعض الكلمات! واطلب منه مقالًا عن هذه الأمة.

استمع جيدًا لصوته العذب وهو يردد إحدى الأغاني التي حفظها عن ظهر قلب وأحضر له مصحفًا ليرتل آيات الله بهذا الصوت الرائع.

حدثه عن صلاح الدين..

افتعل نقاشًا ليتعلم كيف يظهر وجهة نظره ويبرهن لها، علمه كيف تسير الأمور.

دعه يشاهد قنوات الأخبار ويتابع صفحاتها على مواقع التواصل الاجتماعي لعله يكوِّن رأيًا سياسيًّا!

إن هذا حقه على كل حال.

علمه أن يهتم بأمر أخيه المسلم ولو كانت تفصل بينهما قارات!

حدثه بقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١].

إن هذه النشأة تأخذ منا قدوةً لها، إنها تستمد أخلاقها منا نحن..

إن هذا الفساد بين حديثي السن أصبح أمرًا لا يُستهان به!

علينا أن نعي بجدية أننا السبب الأول في دمارهم، وعلينا بدايةً تغيير هذا المسار الأسود الذي يسيرون فيه.

---

(١) سورة الحجرات، آية ١٠

فقد قال ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلكم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِه رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[١].

قادة الغد، هم أجيال اليوم.

ولا نحب غدًا بقادةٍ فسدة!

---

(١) برواية عبد الله بن عمر، متفقٌ عليه

«وإِن من أدَّبته في الصبا
كالعودِ يسقي الماءَ في غرسِهِ

حتى تَراهُ مُورِقًا ناضرًا
بعد الذي أبصرتَ من يُبْسِهِ»

(صالح عبد القدوس)[1]

(١) صالحٍ بن عبد القدوس أبو الفضل البصري: شاعر عباسي، كان مولى لبني أسد، كان حكيمًا واعظًا في البصرة.

عقول الهيليوم

كنت أحدثها عن وقتي الذي لا أجيد تنظيمه..

كانت مشكلة كبيرة بالنسبة لي.

نظرت لي بتعجب قائلة:

- لِمَ كل هذا الاهتمام بدقة الوقت؟!

- الوقت! الوقت يا عزيزتي هو أساس كل إنجاز.

- أي إنجاز هذا! سأذهب الآن على أية حال، سيبدأ برنامج المسابقات يا عزيزتي.

خرجنا سويًّا مساء أحد أيام الصيف، دخلْت المكتبة الكبيرة، دخلَت بعدي كانت تتأمل الأرفف من حولها!

ثم نظرت لي بضجر وقالت:

- وماذا سنفعل هنا؟!

- هذا بيت الكتب يا عزيزتي.

- لا أطيق هذا المكان، إنه ممل.

لا أفهم ما المشكلة تحديدًا! حاولت أن أحدثها يومًا عن أمور العرب، فطلبت مني كوبًا من الماء البارد- هي تشرب الماء كثيرًا- وانتهى النقاش قبل أن يبدأ.

أعطيتها كتابًا أخذته مني وأخذت تقلبه بين كفيها وزفرت في ملل.. لم تقرأه بالتأكيد، أو ربما لم تفتحه حتى.

أدركت مؤخرًا أن المشكلة ليست بها وحدها، فالمشكلة هنا مع الجميع باستثناء البعض منهم.

اسأل فتاةً مراهقة أو شابة عن يومها مثلًا ستخبرك أن يومها عبارة عن تلفاز وهاتف نقال وإنترنت وطعام، وربما كوبٍ من الماء البارد!

أما إن كنت ستسأل شابًّا؛ فسيكون يومه أكثر أحداثٍ في الحقيقة.. فهو تلفاز وهاتف نقال وإنترنت وطعام ومباريات واتصال بإحداهن بعد منتصف الليل، و«سأخرج مع أصدقائي».

لم أجرب أن أكون شابًّا لأفهم ما سر تكرار هذه الجملة أكثر من عشر مراتٍ يوميًّا، هذا إن أخبر من في البيت أنه سيخرج فعلًا.

وماذا عن كتابٍ ما؟!

أو نقاشٍ في قضيةٍ ما؟!

أو وجهة نظرٍ فيما لا يخص أدوات الزينة خاصةَ الفتيات وفرق كرة القدم خاصة الفتيّان؟!

ماذا عن هوايةٍ ما يمارسها!

ماذا عن المبادئ!؟

نحن العرب أهل القرآن والعلم، أصبحت أقصى اهتماماتنا موعدًا على شاشة التلفاز يظهر به بعض النساء الفاتنات! ليطلق عليه اسم (الفن)

كنت أعتقد أن الفن موهبةٌ راقية تنتج إبداعًا،

لا مشاهد وقحة، وأفلام غير أخلاقية!

معظم ما على تلك الشاشة بلا قيم، وكل ما هو عديم القيم يعجبنا! فيسلبنا قيمنا وأخلاقنا.

كيف تكون الحياة بلا مبادئ؟!

بلا وجهة نظر في إحدى القضايا المهمة!

راجع قيمك، مبادئك، وأهدافك.

اقرأ كتابًا.. ناقش صديقًا،

واقرأ كتابًا!، اُثبِت بحجة.

اسمع وشاهد لتفهم.

واقرأ كتابًا! فهناك بين أسطر الكتاب ستجد قوة؛ لذلك اقرأ كتابًا.

ليست مملة كما يعتقدون، فأنت الآن.. تقرأ كتابًا! سواءً أعجبك أو لم يعجبك لكنك قرأت وفهمت وعرفت وكونت رأيًا تجاه ما تقرأ.

إذا أحببت أحدهم.. أعطه كتابًا واكتب له كلماتٍ على أول صفحةٍ به عندما تقدر أحدهم؛ قدم له كتابًا.

وحين تشكر أحدهم! اشكره بكتاب.

ابحث عن موهبةٍ لتنميها، أو هوايةٍ تمارسها.

ناقشني! ولا تتهرب عندما أذكر المسجد الأقصى.

لا تتأفف عندما أذكرك بالتاريخ الإسلامي.

كن واعيًا!

انت وأنا والجميع مجتمعٌ كبير، كلٌّ منا جزءٌ صغيرٌ منه، الشباب أساسه وقواعده

فكيف يكون ذاك المجتمع الذي يملك أساسًا بلا وعي! وقواعد بلا قوة فكر!.

فالآن.. لسنا بحاجة إلى قنابل أو أسلحةٍ وآلات تدميرٍ فقط!

نحن بحاجة إلى علمٍ ووعي ورسالة..

بحاجة إلى مبادئ وقيم نتمسك بها..

نحن بحاجة إلى سلامٍ مع الذات داخل كل شخصٍ فينا.

«إننا لا نكبر حقًّا إلّا إذا أضفنا شيئًا ما إلى هذا العالم»

(أحمد خيري العمري)[١]

(١) أحمد خيري العمري: كاتب وطبيب أسنان عراقي من مواليد بغداد في عام ١٩٧٠

قوانين بالقلم الرصاص

ولأننا نحن العرب نملك من العادات أو الطباع ما لا يمكن تفسيره؛ فليس من العجيب أن تميل أفعالنا للغرابة!

لا سيما ما يخص القوانين..

القوانين! تلك التي تأتي بالنظام في كل مكانٍ يتواجد به البشر.

نقرأها مئات المرات، نفهمها ونحفظها ونعِدُ بتطبيقها لكننا نخالفها بكل رضًا وراحة، خاصةً إذا كانت مخالفاتنا للقوانين البعيدة عن دقة المراقبة.

ورغم هذا، ننزعج كثيرًا جدًّا جدًّا إذا شاهدنا أحدهم يخالف القوانين..

أي عقلٍ يستوعب هذا التناقض في أفعالنا!

كم من طبيبٍ ليفسر؟!

وكأن القوانين والأنظمة وُضعت لنخالفها نحن.. ويطبقها الغير.

أي مبدأ هذا الذي نؤمن به!

لِمَ تُسرع بسيارتك زيادةً عن الحد المسموح؟!

وبعدها تبغض ذاك المسرع بجانبك!

لِمَ لا تقف في مكانك في الصف الطويل؟! لِمَ تقف في مقدمة الصف بغيرَ حق؟!

وبعدها تنهر ذاك الذي فعل مثلك تمامًا!

ليست القضية في بُغض أفعالهم، القضية هي أفعالنا نحن هم عليهم أن يطبقوا الأنظمة والقوانين، ونحن علينا هذا كذلك.

حاول قدر استطاعتك أن تكون جزءًا من البناء، لا حجرٌ مكسور يعيق البناء!

أنت تعلم كُل ما يجب عليك أن تعلم به، وإن كنت لا تعلم فأنت تعرف الطريق للعلم بكل ما يجب عليك أن تعلم به.

ورسالة التنبيه والإرشاد ليست ثقيلة أو صعبة، فقد أمرنا ديننا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فيقول سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

هذا الخير الذي ميزنا به الله..

إنه الإرشاد والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن كل ما هو غير الحق..

إنه الخير في أمتنا.

(١) سورة آل عمران، آية ١١٠

«الناس لا يجهلون الخطأ، هم يميزونه كما يميزون الصواب، ولكنهم لا يتورعون عن ممارسة أخطائهم طواعية»

(سعود السنعوسي)[(١)]

(١) سعود السنعوسي: مواليد ١٩٨١ كاتب وروائي كويتي، عضو رابطة الأدباء في الكويت وجمعية الصحفيين الكويتيين.

كوبٌ من القهوة

كُوبٌ من القهوة فقط..

بها بعضٌ من الكافيين المدمرة!

نختلف بها كثيرًا جدًّا؛ فكوب القهوة بعد منتصف الليل، بجانب الكثير من الأوراق المبعثرة، يستقر على منضدةٍ صغيرة، على حافتها قلمٌ أُرهق حبره بين يدي كاتبٍ في العقد الثاني من عمره.

لا يشبه البتة، ذاك الكوب الذي يسكن كف مراهقٍ سيطر الكافيين على أعصابه فيشرب القهوة؛ لأن جسده بحاجة إليها.

القهوة.. مشروب!

لكن أغلب عشاقها أعدوها من أفخر أنواع المخدِّرات التي تسبب الإدمان وزيادة الأضرار الجسدية والنفسية.

لَم أكتب كتابًا لأتحدث عن القهوة التي لم أحبها يومًا لكننا هنا نتعامل مع كل شيءٍ ككوبٍ من القهوة.

نفهم كل شيءٍ على نحوٍ خاطئ ونسيء لكل شيء.

سلال المهملات على جوانب الطريق! نحن جميعًا نعلم أنها وُضعت هناك لتحوي المهملات؛ حرصًا على نظافة الأحياء.

ورغم ذلك، ما زالت مهملاتنا تزعج الأحياء، وسلة المهملات تصبح أحيانًا شبكة المرمى لمباراة سُكان الحي!

هنالك مخطئون وهم يعلمون ذلك، وهنالك من لم يخطئوا كذلك، لكنهم صامتون!

لَمَ لَم يجرب أحدنا يومًا أن يتحدث؟!

ليس بالتذمر وليس بالسخط، بل بنية النصح والإرشاد والتنبيه، والرغبة في التحسين.

أحفظ ردودهم على النصائح جميعها..

لكنني أعلم أنه من واجب كلٍّ منا أن ينطق لسانه بطيب القول؛ ليكون الحال أفضل مما هو عليه.

ولا يقتصر سوء الفهم والاستخدام على مشروب ما أو على أحياء المدينة؛ فنحن ولشدة الأسف نسيء إلى كل ما هو جميل، حتى الصفات التي تعد من أجمل ما يوصف به الشخص، نخطئ في الحكم عليها كذلك.

فالمتسامح يهين كرامته، والصبور لا إحساس لديه!

المُحب مجنون والطيب ذهب عقله.

هكذا يحكم معظم مجتمعنا على تلك الصفات التي تزين من حولهم.

مفاهيم كثيرةٌ كذلك لم تَسلم من سوء الحكم هذا..

فالحلمُ غباءٌ والحب بأسمى معانيه أصبح كلمةً من أربعة حروفٍ تكتب على شاشة جهازٍ إليكتروني أما الاستمساك بالدين فهو جهل!

والعري في وطنٍ مُسلم أصبح حرية!

عقولٌ غريبة.. عقولنا تلك، وعقولهم أيضًا

من أين جئنا بمثل هذه المعتقدات؟!

لا مصدرٍ لها سوى شاشاتِ التلفاز على الأرجح ولكن على أية حال! نمتلك عقولًا واعية.. لا عقولًا ميتة.

ربما علينا أن نتحرك بضع خطواتٍ لنفهم هذه النقطة السوداء على نحوٍ صحيح؛ لأننا بالطبع سنستطيع تغَييرها آنذاك.

« هُناك دائمًا طرقٌ جميلة للاستمتاع
بكل شيء والاستفادة منه »

(ح.ح)

ثمانية وعشرون حرفًا

كاهتمام رجال الأعمال بسوق الأسهم؛ أهتم أنا بسوق الكتب، كذلك القرّاء والكُتاب أيضًا بلا شك.

سوق الكُتب واسعٌ جدًّا وعجيب، ورغم أنه على هوامش الاهتمامات لدي الكثير، إلا أنه يمثل مقومات الحياة لدى عشاق الوَرق والكلمات.

الكُتب ومبيعاتها وانتشارها وشهرتها غالبًا ما تكون ظالمة للكُتاب وللكتب معًا وفي تلك القضايا بين الصفحات والأغلفة والعناوين غالبًا ما يحكم القُراء.

القراء ورغباتهم تحدد الكُتب الأشهر والكُتَّاب الأفضل وكذلك نوع الأدب الأكثر انتشارًا!

فلن يحقق كتابٌ ما أعلى المبيعات إلا لإقبال شعب القُرَّاء عليه، إنها تجارة الأوراق.

مُقدمة مُملة لسؤالٍ مهم..

ماذا يَقرأ القرّاء؟

لا رَيب أن المجتمعات ترقى بفكر شعوبها وثقافتهم.

والكُتب، تلك الأغلفة السميكة التي تحتضن بينها صفحاتٍ ورقية سُكب عليها الحبر أسطرًا وكلمات، إنها عالم الفِكر والثقافة التي لا نهاية له.

تلك التي تصطف على أرفف المكتبات الخشبية والمعدنية في هدوءٍ تام تنتظر العابرين بشوق، إنها تحمل بينها الكثير.. كنهرٍ من الكلمات بين ضفّتيه.

تلك المعرفة بين ثنايا الصفحات لا تُقدر بكلمات معارك وحُروب تُقام بين هاتين الضفتين ونحن لا نعلم بها!؛ لأننا ظننا الثقافة روايات مبتذلة ذات حوارات بالعامية تحمل كلمات وقحة نتداول عناوينها بيننا بكل إعجابٍ بها، وتُفزعنا الكُتب الدينية بأَحجامها الكبيرة!

ونعد تلك ثقافةً..

أي معرفةٍ تلك التي تستقر بين أحداث روايةٍ عاطفية مبتذلة؟!

تلك القصص العاطفية البحتة التي تحمل الإسفاف بين صفحاتها والكتب التي لا فائدة منها أيضًا، قد تحمل المتعة للكثير.

والمتعة وحدها شيءٌ ثمين، لكنها لا تمت للثقافة والرقي بصلة ولا يُمكن أن تكون جُلّ اهتماماتنا بتوافه الكُتب- إن كانت تعد من الكتب-.

إن أفكارنا تُدوّن كما دُونت الأسطر التي نقرأها؛ فعناوين الكتب التي نفضّلها ليست مجرد أحرفٍ طُبعت على أغلفتها، بل إنها عناوينٌ لأفكارنا واهتماماتنا كذلك.

إننا أمةٌ لُقبت بأمة (اقرأ)..

فأول ما أُنزل به الوحي من القرآن الكريم كان قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِی خَلَقَ﴾[1].

---

(١) سورة العلق، آية ١

إنها ليست محاضرة (حب القراءة)

بل إنها محاولة للإجابة على سؤال: (ماذا نقرأ؟)

إن القراءة سلاح عظيم، لا يدرك قدرَه سوى القارئ الشجاع الذي يستطيع استخدامه.

لكن القراءة.. تِلك المدمَّرة في مجتمعاتنا؛ كلماتٌ كُتبت بأسلحة أكثر قوة، كُتبت بأقلام أُرهقت بين أيادي الكتاب المحاربين في معارك الفكر.

ولأننا نقرأ ما يُكتب؛ فماذا نكتب؟

رواياتٌ عاطفية وحواراتٍ باللهجة العامية وكلماتٌ سوقية ومبتذلة!

هذا ما يكتبه أكثر من يُطلق عليهم (كُتاب)

هذه الثقافة التي أحبها الشباب وأقبل عليها القراء.. وهذا أثمن ما في المكتبات!

أما الكتب الدينية فهي في زوايا المكتبة البعيدة! وبأقل الأسعار.

والكتب الثقافية كذلك على آخر رفٍّ في المكتبة، الرَّف الذي يتجاهله الجميع.

إن كانت مقولة «قل لي ماذا تقرأ، أقل لك من أنت» مقولةً صحيحة!؛ إذًا فمجتمعاتنا (لا شيء)؛ لأننا نقرأ اللا شيء بالفعل.

انتبه لكتابك، انتبه لما تقرأ.. فلَيس كل ما يُقرأ معرفة

كُن قارئًا، لَيس مُبتاعًا للسفاهة.

«الكُتب هي ثروة العالم المخزونة وأفضل إرث للأجيال والأمم»

(هنري ديفيد ثورو)[١]

(١) هنري ديفيد ثورو: مؤلف أمريكي وداع لإنهاء العبودية وداع للعصيان المدني ومقاوم للضرائب وناقد للتقدم ومدافع عن العيشّ البسيط ومؤرخ وفيلسوف.

شُهرة اللا شيء

منذ يومين فقط كانت تقع عيني على اسمه الذي كُتب مرارًا في مواقع وبرامج التواصل الاجتماعي..

كل أخباره وحياته مذكورة هنا على شاشات أجهزتي، حتى يومه منذ بدايته إلى نهايته، ملابسه ولونه المفضل وزوجته وعشيقته وسيارته ويوم ميلاده واحتفاله بعيد ميلاده وصور منشوراته وتغريداته الكثيرة التي كانت تنهال على الشاشة الرئيسية حينما أقرر فقط أن أفتح أحد حساباتي!

كل ذاك الاهتمام من مستخدمي تلك المواقع يخيّل لك أنه رجلٌ معجزة! أو عبقريٍ من عباقرة الزمان! أو أحد رجال الفضاء مثلًا على سبيل المبالغة.

ولكن، من هو؟

إنه شخص طبيعي يملك رأسًا واحدًا وأربعة أطراف وخمسة أصابع في كل يد مثلنا تمامًا!

أما عن كل هذا الاهتمام وهذه الشهرة التي نالها لتجعلني أنا وأنت نبحث عن سيرته الذاتية؛ فقد تكون لأغنيةٍ ما سجّلها بصوته أو أنه منشورٌ طويل يتذبذب بين الرُّقي والإسفاف وكثيرٌ من المتابعين والآلاف من الإعجابات، وها قد عُرف الرجل العظيم في كل أنحاء العالم بالشهرة التي يتمناها.

أهكذا نكون نحن في (عصر السرعة) كما يطلق عليه؟!

إنها السرعة في شهرة اللا شيء؛ حيث ينالها كل من أرادها بلا أي داع أو غايةٍ تُدرك، حيث لا تفيدنا شهرتهم علمًا أو دينًا أو فنًّا أو متعةً حتى؛ حيث نهتم بأدق تفاصيل حياتهم التقليدية والتي يسعون هم لتغييرها كي تكون أكثر إبهارًا لنا!

كي أصف هذا بغير (السفاهة)؛ فأنا بحاجة إلى معجم عربي واسع يُدرك حجم عقولنا الخاوية التي لا تهتم معظمها سوى بتوافه الأمور.

ربما علينا أن نكون أكثر إدراكًا للمهم والأهم..

وربما نعلم ما علينا فعله! لكننا لا نفعل.

جميعنا مع بعض الاستثناءات القليلة، نعلم ما يتوجب علينا تغييره بالفعل.. ولكن، لا أحد يحرك ساكنًا!

إنها إحدى الحقائق العجيبة في أوطاننا نحن العرب! ربما اعتدنا على فعل كل ما هو خاطئ، أو أننا اعتدنا على عقولنا تلك التي تقرر وتفعل قبل أن تُفكر بوعي؟!

هناك بالفعل من يمكنهم إفادتنا في مجالاتٍ كثيرةٍ قد لا تحصى، فمن بيننا الكاتب المبدع، والمصور المتميز، والكثير ممن يتميزون في مجالاتهم، لكننا لا نعرف عنهم أي شيء، بل إننا لا نعرفهم أبدًا.

فقط لأنهم لم يحصلوا على آلاف الإعجابات التافهة تلك، بينما حصل عليها آخرون لا يستحقون جُلّ هذه الشهرة وذاك الاهتمام!

قَبل أن تقع في عشق أحد (المشاهير) عليك أن تعي جيدًا أنه شخصٌ طبيعي مثلنا جميعًا ولا تستحق حياته كلَّ هذا الاهتمام منك!

من هو؟ فِكره، مجاله، وإنجازاته وأداؤه، وهل يستحق! أم لا؟

إجابات هذه الأسئلة هي أهم ما يمكن معرفته قبل الإعجاب والانبهار والعشق والاقتداء،

وكل هذه الأفعال التي تسيطر علينا تجاه صورة أحد المشاهير ممسكًا بيد زوجته!

فهناك مَن بدأ حبهم يتلاشى من قلوبنا! رُغم أنهم فقط من يستحقون كل هذا الحب والانبهار والاقتداء و...!

رسول الله صلوات الله عليه وتسليماته- كثيرًا، إنه أعظم من وُجد بين البشرية!

ورغم ذلك، فحكايات الحُب المعهودة «تحرك مشاعرنا» كما يقال، ولا نلتفت لجمال حُبّ رسول الله لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

لا أحب الاعتراف بحقيقة أننا سفهاء في كل مرة!

علينا أن نعقل أفعالنا وقراراتنا ومواقفنا.. من أجل المجتمع، من أجلِنا جميعًا.

«يوجد الأهم من أولئك الذين يدَّعون الانتحار»

(ح.ح)

رواية كاذبة

فَتحت حسابها على أحد مواقع التواصل الاجتماعي فبدأت تنهال عليها الرسائل وتلك الإشعارات المزعجة، وكعادتها بدأت تفتح الرسائل واحدةً تلو الأخرى وتجيب على ما يهمها وتغلق الرسائل المزعجة حتى لَمحت اسم إحدى صديقاتها المُقربات التي لم تلتقِ بها منذ فترة..

فتحت رسائلها بفضول لتفاجأ بسؤال صديقتها عن زواجها المزعوم!

اعتقدت للحظة أن هذه الرسالة وصلت لها عن طريق الخطأ، فأي زواج تتحدث عنه تلك المعتوهة!

لكنها أدركت أن توقعها كان خاطئًا عندما قرأتها للمرة الثانية ولاحظت وجود اسمها في آخر السؤال دليلًا على أنها تقصدها هي، لا أحد غيرها.

وَبعد حوارات طويلة فهمت أخيرًا أنه خَبر كاذب عرفه الجميع لمجرد خاتمٍ يستقر في إحدى كفيها.

إنها مجتمعاتنا مُختلقة الأحداث والأخبار والأكاذيب..!

خاتمٌ فقط، جعلهم يعتقدون زواجها؛ فأقروا به وكأنهم كانوا من المدعوّين لحفل الزواج الذي لم يَحدث البتة.

هكذا نتعامل مع كل شيءٍ من حولنا!

نخلق الاعتقادات ونقر بها ثم نحدّث الجميع عنها، والجميع يصدق.

فتلك التي تمشي بجانب أخيها الأكبر ممسكةً بيده، إنما هي عاشقة خائنةً لأهلها تحدث الرجال في السر!

هكذا يرونها، وهكذا قالوا عنها، وبذلك صدق الجميع قولهم.

بسرعة البرق تنتشر الأخبار الكاذبة وتصدق بلا أي اعتراض من أحدهم وكأن الوَعي قد مات بيننا وتُصدق عقولنا كل ما تسمع وتًقرأ.

تلك الأخبار الكاذبة تزيد الأمور سوءًا دائمًا، لِمَ لا نتحقق من صحة ما نسمع؟!

ولِمَ لا نتحقق من صحة ظنونا وتوقعاتنا؟!

أن نرتقي لا يعني فقط أن تزداد شركاتنا وتتطور اكتشافاتنا واختراعاتنا..

إن التقدم يكون بالقيم والأخلاق والمبادئ والأساليب والمواقف والأفعال وأغلب ما نفعله- إن لم يكن كله- ما هو إلا السوء، فمتى نرتقي؟

سنرتقي حين نكون أكثر إدراكًا ووعيًا، حين ترى الحق فتقف في صفّه، وحين ترى المخطئ؛ فتقول «قد أخطأت».

سنرتقي.. عندما نكف عن تكرار أسوأ ما نفعل، رغم أننا نعلم أن أفعالنا تلك ما هي إلا الضرر.

أن نكون أفضل، ليس بالشيء المستحيل..

وأن نخطو بضع خطوات فقط في سبيل التقدم بقيم مجتمعاتنا، هو أفضل ما يمكن فعله لأجلنا ولأجل مجتمعاتنا وأوطاننا.

«كذب اللسان أن يقول ما لم يُقل، وأن يقول ولا يفعل، وكذب القلب أن يعقد فلا يفعل»

(مالك بن دينار)[١]

(١) أبو يحيى مالك بن دينار البصري: كان من الذين اشتهروا بزهدهم، وكثرة ورعهم حتى بات مضرب المثل في ذلك.

اللسان الحاكم

ولأننا نحن العرب نستحق جائزة المركز الأول دائمًا في اختلاق الأخبار والأحداث أو ما نطلق عليها (الشائعات)؛ أصبحنا نخشاها كثيرًا حتى أننا ننتبه أكثر لأفعالنا خوفًا من تلك الأحاديث المُختلقة.

ولذلك؛ فهنالك الكثير لم نفعله خشيةً من (كلام الناس).

إن الخطوات المعهودة في فعلٍ أمرٍ ما.. إنما هي الفكرة والهدف ثم القرار ويأتي بعده التنفيذ مباشرةً.

أما نحن!.. نختلف في هذا كثيرًا، فلدينا سؤالٌ مهم جدًّا بالنسبة إلينا يقع بعد فكرة الفعل وقبل قرار الفعل.

ألا وهو: (ماذا سيقول الناس عن هذا؟)

افتراض إجابات هذا السؤال أصبحت تحكمنا بالفعل..

صرنا نخشى ظنونهم واعتقاداتهم وتلك الأكاذيب التي يصدقها الجميَع، فنحسب خطواتنا بدقةٍ متناهية؛ حتى لا نقع في حفرة أقاويل الناس التي لا تنتهي.

حتى أجمل قراراتنا وأفضل أفعالنا نمتنع عن فعلها، فقط؛ لأن «الناس» لا يحبونها!

إننا نمتنع عن النّصح؛ لأن النّاس قد يقولون إننا منافقون.

نمتنع عن الصلاة في الأماكن العامة؛ لأن الناس قد يقولون إننا مراءون.

الفتيات! لا تنتقبن خشيةً من أن يظن الناس أنهن مجبرات.

أصبحت أغلب قراراتنا يحددها «كلام النَّاس» حتى أن البعض يمتنع عن فعل بعض الطاعات تجنبًا له!

ثم ماذا؟!

لِمَ يمنعنا الخوف من أقاويلهم عن فعل ما نحب؟!

ولِمَ أصبحت الكلمات قيودًا لنا ولأفعالنا وأقوالنا؟

فلا حدود لأفعالنا وأقوالنا سوى «الشَّرع» وما يتبعه من قوانين ولاة الأمور وغيرها!

إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾[1].

وقال ﷺ: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى النَّاس عنه، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس»[2].

ليست مشكلةً شخصية أو عادةً عند البعض، بل أنها أصبحت عادةً عند الجميع ومشكلة لدى المجتمع بأكمله.

- إن هذا ما أكتبه عن كل مشكلةٍ تواجه مجتمعنا!!

وكأنني حفظت ذاكَ السطر عن ظهر قلب، فلم أجد كلمات أخرى توضح مدى تفاقُم مشكلات مجتمعاتنا التي تزداد سوءًا شيئًا فشيئًا.

ونحن أشبه بأولئك المرضى فاقدي الوعي، وكأنه لا شأن لنا بكل ما يحدث!

(١) سورة البقرة، آية ١٥٠

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه

أو ربما نعلم ما نحن فيه من غَرق لكننا نخشى التفوه بكلمة حقّ أو نصيحة.

كلماتهم التي توحي بالرفض دائمًا ترسَّخت بأذهاننا؛ لتمنعنا عن ذاك الفعل الذي نعده إجرامًا يعاقب عليه القانون، ألا وهو «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» أو ما نسميه النصيحة أما أنا فأراه «محاولة التغيير إلى الأفضل».

تلك المحاولة التي علينا جميعًا انتهاجها في حياتنا واستثمار كل لحظةٍ بها لأجل التغيير.

إنك لن تستطيع إرضاء الناس مهما فعلت، لذلك تجاهل أحاديثهم وابتغِ رضا الله فقط.

فَمن أقوال الإمام الشافعي – رحمه الله:

ضحكت؛ فقالوا ألا تحتشم؟ بكيت؛ فقالوا ألا تبتسم؟

بسمت؛ فقالوا يرائي بها! عبست؛ فقالوا بدا ما كتم

صَمَتّ؛ فقالوا كليل اللسان نطقت؛ فقالوا كثير الكلم

حلمت؛ فقالوا صنيع الجبان ولو كان مقتدرًا لانتقم

بسلت؛ فقالوا لطيش به وما كان مجترئًا لو حكم

يقولون شذ إن قلتً لا وإمعةٌ حين وافقتهم

فأيقنت أني مهما أرد رضا النَّاس لابد من أن أُذم

لذلك لا تسمح للخوف من الأقاويل؛ أن يؤثر على أفعالك البتة.

« حياة يقودها عقلك، أفضل بكثير
من حياة يقودها كلام النَّاس »

(ويليام شكسبير)[١]

---

(١) ويليام شكسبير: شاعر يصنف كأعظم كاتب في اللغة الإنجليزية وكاتب مسرحي وتتكون أعماله من ٣٨ مسرحية و١٥٨ سونيته واثنين من القصص الشعرية وبعض من القصائد الشعرية.

على حافة الهلاك

ذاك المَجد الذي نقرأه على صفحات كُتب التاريخ الإسلامي في البقاع العربية، وتلك الأخلاق والقيم والمبادئ التي قادت شعوبًا عظيمة كانت تجيِّش جيوشها لمحاربة الباطل والدفاع عن الحق.

أولئك القادة الذين اتخذوا العدل منهجًا لهم، أولئك القادة أصحاب الضمائر الحية تلك التي كانت تصيبهم بالقلق؛ لأن شخصًا واحدًا من شعوبهم فقط نام لِليلةٍ جائعًا.

أين هم؟!

لا وجود لهم الآن سوى في مواقع التاريخ التي تحتل جزءًا من عالم الإنترنت الكبير وتلك الكتب الضخمة المستقرة على أرفف المكتبات العالية، أو برامج الأطفال الأخلاقية التي تعرض قصص قادتنا على هيئة الرسوم المتحركة بخفَّة على شاشات التلفاز؛ لعلها تزرع بالأطفال حبًّا لهم ورغبةً في الاقتداء بهم.

وهذا كل شيء!

وماذا عن تلك المقارنات المعقودة باستمرار بيننا وبين الغَرب؟! الدول التي لم تطبق يومًا خلقًا واحدًا فقط من خلق الإسلام التي أتى بها الرسول ﷺ؛ ليغرسها نبتةً قويةً مثمرة في الأراضي العربية المسلمة، التي كانت خصبة بجمال القيَم آنذاك!

لكنها باتت تتقدم كل يومٍ خطواتٍ عدة! ونحن ما زلنا في القاع..

ليس غباءً في دول العرب أو فقرًا في الأموال والموارد الاقتصادية كما يقول الكثير!

بل أن الدول العربية هي أكثر الدول امتلاكًا للثروات الطبيعية والاقتصادية.

إن ذلك فقط لأننا تخلينا عن تلك القيم التي بنينا بها المجد منذ سنين وصرنا أضعف بلا أسلحتنا الفكرية التي يقودها ديننا وأخلاقنا، إن انحلال تلك العُقد الأخلاقية والمبادئ الإسلامية العربية من وجهة نظري أول الأسباب الرئيسية للهلاك الذي وضعنا مجتمعاتنا به، ولا أبالغ في قولي «هلاك».

إنني لم أقتنع قطّ بنظرية المؤامرة! لذلك فأنا لا أرى الغرب عدونا الوحيد والأقوى الذي يحاول تدميرنا بكل ما أوتي من قوة.

بل إننا من وضعنا أسلحة تدميرنا بين أيديهم بكل رضا، نحن أظهرنا ضعفنا، ثم سمحنا لهم باحتلال فكري قوي، استسلمنا لهم وسرنا كالخرافِ في قطيع الماشية لا تدركً شيئًا،

دمرنا مجتمعاتنا وعلاقاتنا وعقولنا بأيدينا التي وُجدت لتعمر مجتمعاتنا وتزيدها مجدًا.

نستحق حقًّا رثاءً منًّا إلينا..

ربما لغفلتنا عن حجم مشكلاتنا التي نغرق فيها ولا ندرك تأثيرها ولم نحاول يومًا إيجاد الحلول لها.

أو ربَّما لأننا من نُسبّب المشكلات.. إنه سلوكنا نحن ولا أحد غيرنا!

في كتابٍ لـ «أنتوني روبنز» قال فيه:

«كل واحدة من هذه المشكلات إنما نجمت أو اتخذت مسارها نتيجةً لسلوك البشر؛ ولذا فإن الحل لكل من هذه المشكلات إنما يعتمد على تبديل سلوكنا»

أكثر ما أكره بالفعل أن يعدد أحدهم المساوئ بتذمر دون أن يحاول تغييرها، لذلك فأنا لا أحاول فعل هذا.

أسهبت في وصف مجتمعاتنا بمساوئها لكنني أفعل هذا كي نحدد ما هي المشكلة.

كي تغير الواقع؛ عليك إدراكه وإدراك ما وجب عليك تغييره.

فلنتفق سويًّا أننا نستطيع التغيير! ويمكننا أن نكف عن لوم الآخرين وتجاهل الأخطاء التي نشاهدها كل يوم.

إن الاهتمام بتحسين سلوكنا أولًا ثم محاولة تحسين سلوك مجتمعاتنا صغيرها وكبيرها لهو الإنجاز الأعظم الذي قد ينجح به ابن آدم.

قطع حديثنا صخب صوت الجهاز الذي يمسك به أخوها الأصغر صارخًا بما نسميه (الأغاني الشعبية) التي لا تمت للفن بصلة.

أغمضت عيناي بتلقائيةٍ لانزعاجي مما أسمع، طلبت منه إغلاق الجهاز ولم ينفذ هذا إلا بعد عشر محاولاتٍ تقريبًا.

التفتُّ لها قائلة بتعجب: ما بال الصغار يستمعون لمثل هذه الرداءة ويستمتعون بها؟!

أجابت بتهكم: لقد أفسدوا أطفالنا!

- ولكن، من هم!؟

من هم أولئك الذي يفسدون كل شيء وكأن لا يدَ لنا في كل هذا الفساد الأخلاقي الذي يحيط بنا!

الإعلام مفسد والمشاهير مفسدون والحُكام مفسدون، أما الغرب فهم العدو الأكبر.

إنني أتفق مع هذا نسبيًّا، فالإعلام أغلبه يحمل الفساد على الشاشات والمشاهير ينالون الشهرة بلا أي فائدةٍ تذكر، أما الغرب فهم بالطبع يطمحون لدمار كل ما هو مسلم.

ولكن من يمكن إفساده بهذا؟!

إنه قطيعٌ من الماشية أو ربما صندوق الدمى البلاستيكية وربما من تجدهم في فهارس مرضى مستشفيات الأمراض العقلية، أصدق تمامًا أن هؤلاء يمكن التأثير عليهم وإفسادهم لأنهم بلا وعي.

ولكن، ماذا عنا؟! ماذا عن العقلاء بيننا؟!

كيف سمحنا لهذا الهلاك أن يحتل أراضينا ومجتمعاتنا من جميع الجهات بلا أي مقاومةٍ منا وكأننا أضعف ممن يحاولون زرع الفتنة بمجتمعاتنا.

أهذا هو الإسلام؟!

أهذه هي العروبة التي نفخر بها؟!

أم أن فخرنا ذاك بدأ يتلاشى حتى أننا صرنا ننتظر فرصة هجر الأوطان والسفر إلى بلاد غير المسلمين الأكثر تقدمًا من بلادنا!

سئم الشباب من هموم بلاده؛ فبات يتمنى الهجرة والسفر كل ليلة! أما من حلٍّ للهموم والمشكلات؟! أما من وسيلةٍ للتغيير والتحسين؟

السُّبل كُثر، لكننا متخاذلون.. نستنزف طاقاتنا في التذمَّر حتى تنفد حين نحتاجها في التغيير أو محاولة التغيير على الأقل.

قال الفيلسوف اليوناني أرسطو: «إننا ما نفعله تكرارًا»(١).

فاسأل نفسك كل ليلة، ماذا فعلت لأجل ذاتك؟! وماذا فعلت لأجل دينك ووطنك ومجتمعك؟!

نحصد الفساد في أحياء بلادنا؛ لأننا زرعناه.

وكما زرعنا السوء يمكننا أن نزرع الخير باهتمامٍ حتى نحصد كل الخير والعلم والتقدم والرقي.

في هذه الصفحة من كتابي، تمنيت أن أفتحه العام المقبل!؛ لأكتب على أول صفحةٍ به أن بلادي تغيرت تمامًا ولم تعد كما وصفتها، ولو أنني فقط أستطيع كتابة مقدمة كتاب آخر أكتب بها عن مجد عروبتنا الذي بنيناه بأيدينا، وعن أبراج الرقيِّ والعلم التي شيدناها باستقامة وخُلق!.

حارب كل بذرة سوء تراها.. إنك مسئول.

---

(١) أرسطو: فيلسوف يوناني، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر وواحد من عظماء المفكرين، تغطي كتاباته مجالاتٍ عدة منها: الفيزياء والشعر والموسيقى.

« خطوة واحدة فقط في سبيل التغيير بصحبة الإرادة،
يمكنها أن تغيِّر مجتمعًا بأكمله، والشجاع هو من يتخذ أول
خطوةٍ بلا تراجع »

(ح.ح)

لا شيء يذكر

حين تمشي في شوارع مدينتك مساء اليوم، قف أمام أحدهم واسأله: ما هي الحياة؟

إما أن تجد الصمت ردًّا أو ستلقى استهزاءً بسؤالك الساذج بالنسبة لهم، وربما تجد ردودًا مضحكة تضيف وقتًا كوميديًّا إلى يومك.

لكن أحدهم لن يصارحك بالحياة التي يراها أو يعيشها سوى البعض ممن يرون العتمة فقط فإنك ستسمع على الفور قائمة طويلة بأمورٍ مزعجة تسيطر على حياة كلٍّ منهم يوميًّا.

إننا نعيش حياةً كالأموات..

طعامٌ وشراب ونوم وأجهزة إليكترونية وبعض العبادات المفروضة علينا، إننا نعيشها هكذا؛ لأننا بارعون جدًّا في فهم الأشياء بمعانٍ خاطئة تمامًا.

نرى أن كل تلك الأعضاء والأجهزة المستقرة في أجسادنا ما هي إلا خلايا تعمل بطريقة آلية للتنفس وضخ الدم ونقل الغذاء، وكل هذا لتلبية رغباتنا فقط لاً غير.

رغباتنا الجائعة للمزيد من الطعام والترفيه والنوم المتواصل كدُبِّ الباندا اللطيف.

أما «الملل» فهو عنوان كل يوم من أيامنا، إننا نردد فقط أنه ليس لدينا ما نفعله، وكأن هذه الحياة الواسعَة بشتى مجالاتها ليس بها ما تفعله!

ليست هذه الحقيقة مطلقًا بل الحقيقة هي أننا لا نريد أن نفعل شيئًا.

لدى معظمنا خلايا تخص أنسجة الحماقة التي تتمركز في المخ لتوحي لنا بأن حياةً بلا عمل هي الحياة الأفضل على الإطلاق.

إننا نرى حياة الموتى تلك التي نعيشها أو يعيشها معظمنا إنها الراحة التي لا مثيل لها!

إن هذا الشعور حيال معيشتنا تنقله إلينا أنسجة الحماقة المتمركزة في المخ! التي لا وجود لها البتة!

لكنني أكاد أجزم أن هناك أنسجةً وخلايا تعمل على فهمنا الخاطئ للأمور من حولنا بهذه الصورة.

إن هذا الاستنتاج الخياليِّ لم ينشأ في مخيلتي إلا لأنني كنت أحاول أن أجد سببًا واضحًا لحب كل منا للكسل والنوم الطويل والحلوى وأفلام التلفاز المعتادة وشبكة الإنترنت طويلة الأمد ولا سيما المجانية وحتى الآن لم أجد سببًا واضحًا.

إن كُنت ترى سببًا منطقيًّا فلك تهنئةٌ مني على براعتك في الاستنتاج.

أما أنا فلم أتوصل لشيءٍ سوى أنه علينا أن نتوقف عن هذا كي لا نرحل جميعًا بلا أي إنجازٍ لنا على هذه الأرض.

إنني أتعجب ممن يخلدون ذكرى العظماء ببعض التماثيل الحجرية والإسمنتية، وكأنهم لم يدركوا أن أصحاب الأثر تدوم ذكراهم مخلدة في عقولنا وقلوبنا حتى الموت!

لسنا بحاجة إلى تماثيل أو مناصب أو صور كبيرة في إطارات ذهبية تستقر على جدرانٍ القصور والمكاتب الحكوميةً كما نخلد ذكرى الرؤساء السابقين بهذه الطرق التي لا فائدة منها.

إن البصمة التي نتركها كفيلة بأن تخلد ذكرانا الحسنة بين الأجيال جميعها إلى يوم الدين، كتابٌ واحد فقط في سبيل إصلاح المجتمع له القدرة على أن يبقى شاهدًا على كاتبه في حياته ومماته.

فجميعنا عظماء من الداخل، نملك الإرادة بالفطرة ونملك أسلحةً تدعي «الموهبة» لكننا نتجاهل كل هذا ونجلس على أقرب كرسي للتلفاز بجانب جهاز الإنترنت اللاسلكي ونقضي اليوم هكذا، ثم تحتضن أسرَّتنا في هناء لنستيقظ ظهيرة الغد ونعيد روتين الأمس، ولا أنكر أنه قد يتدخل الدوام الدراسي أو الوظيفي المُمل بين ثنايا أيامنا المتشابهة ليزيد من معدل تذمرنا اليومي.

أكره أنا أقول هذا، لكنه واقع معظمنا الذي علينا تغييره.

أما أنت، فأنت تقرأ.. لو لم تكن قارئًا لما وقعت عيناك على هذا السطر في هذا الكتاب، وبما أنك تقرأ؛ فأنت- غالبًا- صاحب عقلٍ واعٍ يدرك حديثي هذا المضطرب بين خيوط التعاسة والإرادة.

علينا أن نفعل شيئًا يذكر لنا في سجلَّات الإنجاز، علينا أن نكون أكثر من أسماءٍ كُتبت في سجلات المواليد والوفيات والتعداد السكاني!

لك القدرة على فعل الكثير كمن سبقونا ممن لا ننساهم أبدًا.

وسَنعرف بعد موتٍ.. هَل حييتم في الحياة!

أم أنكم كنتم فقط رقمًا زيادة..

كُن حيًّا بعملك في الدنيا حتى قيام الساعة، وفي الآخرة إلى مالا نهاية.

«يقال إنك تموت مرتين.. مرة حين تتوقف عن التنفس،
ومرة حين يذكر أحدهم اسمك للمرة الأخيرة»

(بانكسي)[١]

(١) بانكسي: رسام جرافيتي إنجليزي مشهور ومجهول الهوية، يعتقد أن اسمه روبرت بانكسي، من مواليد سنة ١٩٧٤، وتبقى سيرته الذاتية غير معروفة.

أقربهم أعداءً

«كُن أكثر واقعية».. أسمعها كثيرًا كرد تلقائيٍّ على أي وصفٍ لكل حلم كبير!

وتلقيتها أيضًا حين تحدثت عن التغيير..

ولكن!

هل أهدافنا بالفعل تفتقد الواقعية؟! هل نتمنى أن تنمو لنا أجنحة الطيور مثلًا!

إن أهدافنا هي أهم ما في الواقع، فكيف يطلبون منّا أن نكون أكثر واقعية بنبرات السخرية خاصتهم تلك؟!

في مجتمعاتنا، تلك الأبراج المائلة.. يعمل معظم أبناء المجتمع في وظيفة (التثبيط) التي لا تربح شيئًا سوى راحتهم النفسية التي تزداد عند قتل حلمٍ ما!

تلك الضحكة الساخرة التي تسمعها عندما يتحدث طفلٌ في العاشرة من عمره عن حلمه بخياله الواسع. إننا نسمعها دائمًا في كل حيٍّ يعيش به إنسان يملك حلمًا أو هدفًا ما.

نظن أن تلك الأحلام مكتوبةً في قائمة المستحيلات فنرمقهم بنظرات تعجبٍ واستنكار؛ لتقذف ألسنتنا سمًّا يفتك بأحلامهم شيئًا فشيئًا.

ليموت الحلم ويبقى هو في حياة الأموات وقد تعلم كيف يبث السم في الأحلام ببراعة تفوق التي قُتل بها حلمه.

إنهم مذنبون، وهو كذلك..

أن تستضعف أحدهم وتفقده ثقته بأهدافه؛ لتكون كلماتك المحبطة كابوسًا يوميًّا له!

إنها جريمةٍ ترتكبها في حق ذاتك وحق مجتمعك.

ذاك المجتمع الذي يتوجب علينا أن نكون حجارةً في بنيانه الكبير، حجارةً متماسكة تشد بعضها بعضًا.

وليس حجارةً ينهي بعضها بعضًا!

ولكن!.. أن تدع حلمك على أرض المعركةِ وحيدًا وتستسلم أنت لتلك الكلمات ونظرات السخرية فيموت أمام ناظريك بكل بساطة! إنه الذنب الأعظم.

فأين ثقتك بأهدافك؟

أن تحلم.. يعني أن تقاتل لأجل حلمك، حتى إن كان أقرب الناس إليك هم أعداء ذاك الحلم!

فتلك القرارات التي تخالف أهدافك وتلك الكلمات المحبطة التي وُضعت في إطار النصيحة التي غالبًا ما تكون من محبٍّ يعتقد أنه ينفعك بنصحه لك.

لا تقدر على أن تحطم جدار الثقة وقوة الإرادة الذي عليك أن تشيده حصنًا لحلمك وأهدافك.

مجتمعنا الذي يغرق.. بحاجة إلى أبناءٍ يملكون حسن التصرف، وإلى أبناءٍ يعرفون كيف يصلون إلى القمة معًا!

إنه بحاجةٍ ليدٍ تبني بمساعدتها، لا تهدم بسخريتها وإحباطها.

إنه بحاجةٍ لأبناءٍ يقاتلون لأجل أهدافهم بلا استسلامٍ أو ضعف.

إن مجتمعاتنا بحاجةٍ إلى أن نتسلح جميعًا بالوعي والسعي؛ لتحقيق الأهداف التي توصلنا جميعًا إلى القمة.

« كوب الماء الفارغ نصفهُ، هو نفسهُ الكوب الممتلئ نصفه »

(أحمد أشرف)[1]

(١) أحمد أشرف حماد: مواليد ١٩٩٧ كاتب مقالي.

من قضية لحرب

يقطع عملي صوت إشعارات الهاتف المتتابعة، صورٌ كثيرة تتزاحم في مواقع التواصل إحداها للاعبٍ ما والأخرى لشعار فريقٍ ما.

أتأكد أن الليلة.. هي موعد مباراةٍ ما بلا أدنى شك.

أعود لأكمل ما قطعه صوت الهاتف، وأفتحه بعد ساعات؛ لأجد معركةً تقام على أرض الإنترنت، شتائم هنا وإهانات هناك وصور ساخرة تتجول في الأرجاء!

– ماذا؟! هل هناك غزو صهيوني مفاجئ لصفحاتكم مثلًا!

– إنكِ لا تفهمين شيئًا، لقد انتهت المباراة لتوّها.

– كيف نسيت هذا! بالطبع تلك الكرة البلاستيكية على ذلك القدر الكبير من الأهمية الذي قد يدفع معظمنا للشتم والسب والإهانة والسخرية والاستهزاء والبغض!.

كنت ساذجة– ربما– حين توقعت– باستنكار– غزوًا صهيونيًّا! فلو كان حدث بالفعل لقلنا إننا أبناء عمومةٍ وعشنا في سلام.

إننا لا نعطي الأمور قدرها الحقيقي، نتعامل معها ككوبٍ من القهوة– كما ذكرت مسبقًا– لذلك لا تسأل شابًّا عن تاريخ صلاح الدين منعًا للإحراج، وباشر بسؤاله عن الأكلة المفضلة للاعبٍ في فريقه المفضل.

على أية حال ليست هذه هي المشكلة العظمى هنا إنما الكارثة هي تلك المعارك والحروب التي تُشنُّ في كل يومٍ تذاع فيه أي مباراة! وتلك الخلافات الحادة التي تنشأ بين محبي ممثلٍ ما ومحبي آخر.

إن الوضع الطبيعي لكل هذا هو في خانة الترفيه والتسلية لا غير!

لكننا وضعناهم في خاناتٍ أكثر أهمية كخانات الفداء والعشق والفخر وأخرى عجيبة قد لا نضع فيها من يستحقونها لسوء تقدير الأمور.

تحولت توافه الأمور في مجتمعاتنا لحرب، في حين تناسينا قضايا الحروب الحقيقية.

بدأت مبادئ الأخوة تتلاشى فقط؛ لأجل مباراةٍ تستغرق دقائق معدودة ثم تنتهي وقد غرست البغض بين المشجعين.

كنت أعتقد أن مشاعرك تجاه أحدهم قد تنتج عن أمرين لا ثالث لهما:

الأول: أن تكون عرفته جيدًا وكرهت طباعه.

والثاني: أن يكون مفسدًا يعلمه الجميع!

ولم يذكر علماء النفس بعد ذاك السبب الثالث والذي مضمونه لدينا أن هذا الشخص هو منتمٍ لطرفٍ آخر أو مشجعٍ لفريقٍ ينافس الفريق الذي تحب!

لأن هذا في الحقيقة ليس سببًا يستدعي أن تكره شخصًا ما لم تعرفه، فقط لأنه يشجع من لا يعجبك!

كيف نبني مجتمعًا نتعلم فيه الكُره قبل أن نزرع فيه المحبة بيننا؟!

أهذه هي المجتمعات التي نتذمر لتأخرها عن البقية؟!

عندما تبدأ المعركة.. كُن واعيًا! كن رحيمًا بلوحة مفاتيحك وامتنع عن خوض الحرب.

« وإن الكره ليرتجف أمام الحبّ، وإن الحقد ليهتز أمام التسامح، وإن القسوة لترتعش أمام الرقة واللّين »

(أيمن العتوم)[١]

---

(١) أيمن العتوم: شاعر وروائي أردنيّ ولد في الأردن عام ١٩٧٢ تلقّى تعليمه الثانوي في دولة الإمارات العربية المتحدة.

آلاف الكيلو مترات

«استووا يرحمكم الله»..

أستمتع بالمشهد بعد إقامة الصلاة، العشرات، أو المئات من المصلين يصطفون بانتظام وهدوء، يركعون معًا، ويسجدون معًا، وكأنه جسدٌ واحدٌ يصلي رغمً اختلاف كلٍّ منهم عن الآخر.

هكذا نكون، بعد الإقامة فقط.. أما بعد السلام! فنعود كما كنا كلٌّ غارقٌ في عالمه بعيدٌ كل البعد عن النَّاس ومن حوله.

وبعيدٌ كل البعد عن الدين!

- ما دينك؟

- الإسلام.

أهو الإسلام الذي في القلوب، أم الإسلام المكتوب على بطاقة الهوية؟

إننا نقف بعيدًا جدًّا، وما زلنا نبتعد.. معتقداتنا فسدت، فطرتنا كادت تموت، وأفعالنا لا تمتُّ لمبادئنا بصلة.

لو كانت المسافات مقياسًا؛ لقلنا إننا نسكن في مجرّةٍ، ومبادئ الدين في مجرّةٍ أخرى!

لماذا نغرق؟

ببساطة؛ لأننا تخلينا عن مبادئ الدين..

ببساطة، لم نعلم أطفالنا القيَم الصحيحة..

وببساطة أكثر، لقد كنا ومازلنا عقولًا هشة بلا حصونٍ، يسهل إفسادها فكريًّا

أما الفساد الفكري.. فقد حدث بالفعل ولن أنكر هذا.

لكنك ستجد دومًا فئةً قليلة تُدرك المبادئ والقيم وتشيد الحصون الفكرية فتكون أكثر وعيًا من البقية.

فئةٌ تقرأ الكُتب.. فئةٌ تقف في صفوف الحق، ولا تصفق للباطل؛ وهذا دورنا نحن لنقترب شيئًا فشيئًا من تلك القيَم التي هجرناها.

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[1].

لو أدركنا فقط ما يحدثنا الله به في هذه الآية وطبقناه؛ لما صرنا نقترب من الهاوية بهذه السرعة!

إنه التمسك بدين الله وعهده، والاجتماع والألفة بيننا.. وما نحن بحاجةٍ إلى شيءٍ أكثر منهما.

لكننا ما زلنا نقف بعيدًا متفرقين، كلٌّ منّا في كوكبه الخاص..

قد ندرك مشكلاتنا متأخرين! لكن هذا لا يعني أن الحلول قد تنتهي.

علموا أولادكم حب العبادة، علموهم العطاء والتسامح والمحبة.

أخبروا أولادكم وأنفسكم وكلَّ من تعرفون؛ أنه علينا أن نقف جميعًا في صفٍ واحد بأرواحنا وعقولنا كما نقف في الصلاة بأجسادنا.

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٣

«الركب السائر إلى الله في صدقٍ لا يضل الطريق»

(نجيب الكيلاني)[1]

(١) نجيب عبد اللطيف إبراهيم الكيلاني: كاتب روائي مصري توفي سنة ١٩٩٥ وكان عضوًا في جماعة الإخوان المسلمين.

صورة

ماذا تعرف عن دول أوروبا؟

جميلة، ذات مناظر رائعة، ثرية!، متقدمة، تتمتع بحرية التعبير، بها وظائفٌ متاحة.

إن أهلها يعيشون في هناء؛ فأغلب أمنيات الشباب هي السفر إلى إحدى تلك الدول.

إنه لشيءٌ طبيعي أن تحدث المشكلات في كل مجتمعٌ! ومن الطبيعي أيضًا أن تجد المفسد في كل مجتمع، لكننا لا نسمع عن مُفسدٍ هناك، ولم ننشر بيننا خبرًا عن إحدى مشكلات تلك الدول.

إنها الصورة التي وضعوها لنا ببساطة؛ كي تكون معرفتنا بهم هي إجابة السؤال السابق.

إنك غالبًا ما تشتري المنتج؛ لأن صورته التي رأيتها في الإعلان قد أعجبتك أو أقنعتك أن المنتج جميلٌ يستحق الشراء.

إنها الصورة التي نراها، تؤثر على أشياء كثيرة..

فهمنا للشيء، ونظرتنا له!

فبأي صورةٍ يشاهدنا العالم؟!

ربما على صفحةٍ في روايةٍ عاطفيةٍ مبتذلة، أو في خطابات حُكَّامٍ متخاذلين.

قد يشاهدوننا في لباس عار على جسد ممثلة مثلًا، أو في كلمات وقحة في صراع بين سياسيَّين في أحدٍ البرامج أو يروننا في طالب علمٍ لا يفقه شيئًا! وربما في مشكلاتنا السياسية والاقتصادية التي تذاع علانيةً ليلًا ونهارًا بلا توقف.

هكذا نظهر نحن على شاشاتهم وعلى صفحاتهم في المواقع الاجتماعية.. إنها الصورة التي يشاهدها العالم للمجتمع العربي.

المجتمع المائل! الذي يغرق في ظلمةِ أفعاله.

إن كل فردٍ منا يمثل المجتمع بأكمله.. فكيف تمثله أنت أو أمثله أنا؟

إننا أساس تلك الصورة بلا أدنى شك، لكننا لا ندرك هذا؛ فمازلنا نصرخ غضبًا في أتفه المواقف! وما زلنا نتناقل السبَّ بيننا لأصغر الاختلافات.

ما زلنا نفهم الأشياء على نحوٍ خاطئ! وما زلنا نهدم أحلامنا بسذاجة، ونعلم أطفالنا ما لا ينفع.

وما زالت عقولنا تزداد ضيقًا.

إنها الصورة التي توضع في إطار قيمنا وأفعالنا وما تنطق به ألسنتنا.

فماذا نفعل؟ وماذا نقول؟ وماذا نكتب؟

اسأل ذاتك كل ليلة.. أي صورة يراها العالم فيك؟

كُن صورةً عظيمة لمجتمعٍ عظيم..

كُن كيانًا يحمل قيمًا.. كن العربي الذي تتمنى أن ترى.

«الضوء الباهر يصرع نوازع الشر»

(نجيب الكيلاني)

في الزاوية

في يوم من الأيام، ليس ببعيد.. عاشت الحيوانات في غابةٍ خضراء جميلة، وكان كل شيءٍ يسير في انسجامٍ وهدوء إلى أن جاء اليوم الذي اندلع فيه الحريق.

اشتعلت النيران في أعماق الغابة الخضراء، وجرت كل الحيوانات أو طارت محاولة النجاة بحياتها.. وفي مكانٍ بعيد، وقفوا ينظرون في حزنٍ ويأسٍ لما تركوه وراءهم، بيتهم الذي أكلتْه النيران.

لاحظوا من مكانهم الذي يقفون فيه، أن هناك نقطةً صغيرة تتحرك في السماء، تتحرك باستمرار بين البحيرة الزرقاء ومركز الحريق، ذهابًا وإيابًا.

دققوا النظر؛ فعلموا أنه الطائر الطنان الصغير، يأخذ الماء بمنقاره الصغير من البحيرة، وينقله ملقيًا بهذه القطرات القليلة على الحريق محاولًا إخماده.

ذُهلت الحيوانات من المشهد.. نظر له الأسد والدب والفيل غير مصدقين!

زأر الأسد قائلًا: أيها الطائر ما الذي يمكن أن تفعله هذه القطرات القليلة؟!

متجاهلًا استحالة الأمر، رد الطائر في بساطة: «أنا أفعل ما أستطيع»[١].

---

(١) مُقتبسة بتصرف قليل من كتاب (كيف تصبح إنسانًا) لـ (د.شريف عرفة).

ليس من الضرورة أن تكون أسدًا كي تفعل شيئًا يذكر!

لَقد خُلق كلٌّ منا ليحمل رسالةً ما، أو ليحقق غايةً مهما كان حجمها وقدرها.

فعلى كلٍّ منّا أن يسعى لتحقيق هذه الغاية، على كلٍّ منّا أن لا يتردد في فعل ما يستطيع مهما كانت العقبات والظروف المحيطة!

فربما يكون ما استطعت أنت فعله؛ هو شيءٌ عظيمٌ ذو قيمة، عندما تفعل ما تستطيع، ستكون قد أرحت ضميرك وتخليت عن الندم المُهلك، ستكون فقط فعلت، وألقيت البقية على القدر الذي تجد من الإيمان به نصيبًا في قلبك.

إن من أكبر مشكلاتنا الاعتقادية.. أننا ننظر لأفعالنا بأعين ضيقة؛ فنرى أنه لا فائدة مما نفعل! نستضعف أنفسنا وقدراتنا وأفعالنا؛ فنقرر أخيرًا ألا نفعل.

ثم ماذا؟

لا شيء، نموت ندمًا ويأسًا وقهرًا! نكره الدنيا وما فيها، نكره أيامنا وسنواتنا؛ لأننا ظننا أن أفعالنا لن تجدي نفعًا.

لقد كنا ومازلنا مخطئين، فقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وكل ما قد تفعل من أجل دينك ووطنك هو عملٌ حسن، وكل ما تفعل كذلك في سبيل الحق أو النصح أو الأمر بالمعروف أو إصلاحٍ في مجتمعك؛ هو عملٌ حسن.

---

(١) سورة التوبة: آية ١٢٠

وإن لم تكن جميعها، فمعظمها.

إن أحلامنا التي نسعى لتحقيقها هي عملٌ كبير.. يشهد الله على مجهود كلٍّ منّا سعيًا للنجاح فيوفِّه حقّه على قدر إخلاصه ونيته ومجهوده.

حاول أن تفعل كل ما بوسعك فعله؛ كي لا تندم يومًا.

حاول أن تثق بقدرتك على التغيير! إنه مجتمعٌ لنا جميعًا، فإن غرق.. غرقنا جميعًا وإن عاد مجده الذي كان، حيينا جميعًا تحت ظل عظمته.

وكلٌّ منا يملك القرار!

إما أن نستسلم للعقبات.. أو أن نكون نحن عقباتٍ للعقبات.

« يكمن المجد في محاولة الشخص الوصول
لى هدف وليس عند الوصول إليه »

(المهاتما غاندي)

ما هو الدين؟

إذا أردنا أن نعلم كيف نُغير..

فلنسأل ما هو الدين؟

يقول رسول الله ﷺ: «الدِّينُ النَّصيحَة...»[١].

إن ديننا الإسلام قائمٌ على التناصح فيما بيننا؛ لذا لن يبذل لسانك مجهودًا مرهقًا إذا نبَّه غافلًا عن أخطاء رآها.

جميعنا نخطئ؛ فكل ابن آدم خطاء! لكننا نسمح بها تمر أمام أنظارنا دون أي ردّ فعل من قبلنا! لهذا تتراكم الأخطاء وتترسب حتى تصبح عادةً من أسوأ عادات مجتمعاتنا، ثم نبكي على حال مجتمعاتنا!

يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٢].فالخير بنا هو فطرتنا التي تحث كلًّا منّا على أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر! فالمعروف هو كل عملٍ حسنٍ مهما كان صغيرًا.

أما المنكر فلم يقصد به المعاصي والكبائر فقط كما يظن الكثير؛ إن المنكر هو كلُّ فعلٍ قبيحٍ أو كل إساءةٍ تراها.

إنك مسئولٌ عن جوارحك بما تعمل، ولسانك بما يتفوه! فكُن خيرًا في أمة الخير التي ما عادت تدرك مجدها الذي كان.

---

(١) رواه مسلم

(٢) سورة آل عمران: آية ١١٠

يقول ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيدِه، فإن لم يستَطع فبِلسانه، فإن لم يستطِع فبقلبِه، وذلك أضعفُ الإيمان»[١].

فعليك أن تسعى طيلة حياتك؛ لتغيير كل منكرٍ تراه بكل ما أوتيت من قوة؛ إما أن تصلح بيديك، أو أن ينطق لسانك بالحق، فإن لم تستطع البتة! عليك على الأقل ألا تكون راضيًا عنه.

ما هو الدين؟

الدين أن تنصح، الدين ألا تتجاهل المكروه، الدين أن تبذل كل ما بوسعك؛ ليحيا مجتمعنا الغريق.

---

(١) رواه مُسلم

«سخِّر جوارحك للخير، ودع لسانك
ينطق بالحق ولو أغلقوا آذانهم»

(ح.ح)

الرحلة

إنها رحلة الألف ميل التي تبدأ دائمًا بخطوة..

تلك الرحلة التي كنا ومازلنا نسمع الجميع يتحدث عنها كعبارة تحفيزٍ لنا، في المحاضرات والدروس! والكتب.

ولم يبدأ أحدنا الخطوة بعد!

إننا نتذمر دائمًا؛ لأن الرحلة لم تنتهِ، ولم نصل إلى النهاية.

لكننا في الواقع لم نبدأ الرحلة مطلقًا.

إننا عرفنا فقط كيف تكون، واكتفينا بالترديد في حماسٍ مصطنع..

ألم يحن الوقت أن نبدأ أول خطوةٍ في رحلة الألف ميل؟!

رحلة التغيير التي يقودها «نحن».

حديث الصفحات

خمسة مقالاتٍ؟! أم عَشرة؟!

لا أدري، لكنني على يقينٍ بأنني لم أُحِط بكل شيء، أو حتى نصف كل شيء.

مجتمعاتنا أكبر مما قد تحيط به عقولنا!، ومشكلاتنا أكبر من مجتمعاتنا!، وغفلتنا أكبر من كليهما.

فلا كتابٌ يكفي ولا أوراق، لكن إدراكنا ووعينا يكفي..

لم أكتب لأصف، كتبت لتعلم- أو لتتذكر-! أننا سنكون الغرقى- إن لم نكن كذلك- عندما تغرق مجتمعاتنا بينما نحن نجلس في هدوءٍ بلا مبالاة نلعن الأيام والدول وكل شيءٍ يمكن لعنه!

بالنصيحة.. أنت تغيّر.

بالقلم.. أنت تغيّر.

بالحديث.. أنت تغيّر.

بالعمل، بالأمل، بالعلم.. أنت تغيّر.

بطفلٍ صغير تزرع به القيم.. أنت تغيّر.

بإصلاح ذاتك.. صدقني أنت تُغيّر.

بكتابٍ تقرأه.. أنت تُغيّر.

إننا شيَّدنا قضبانًا حديديةٍ فوق قضبان أوطاننا؛ لنزيدها سمكًا وقوة، وجلسنا في صمت ثم.. لا شيء!

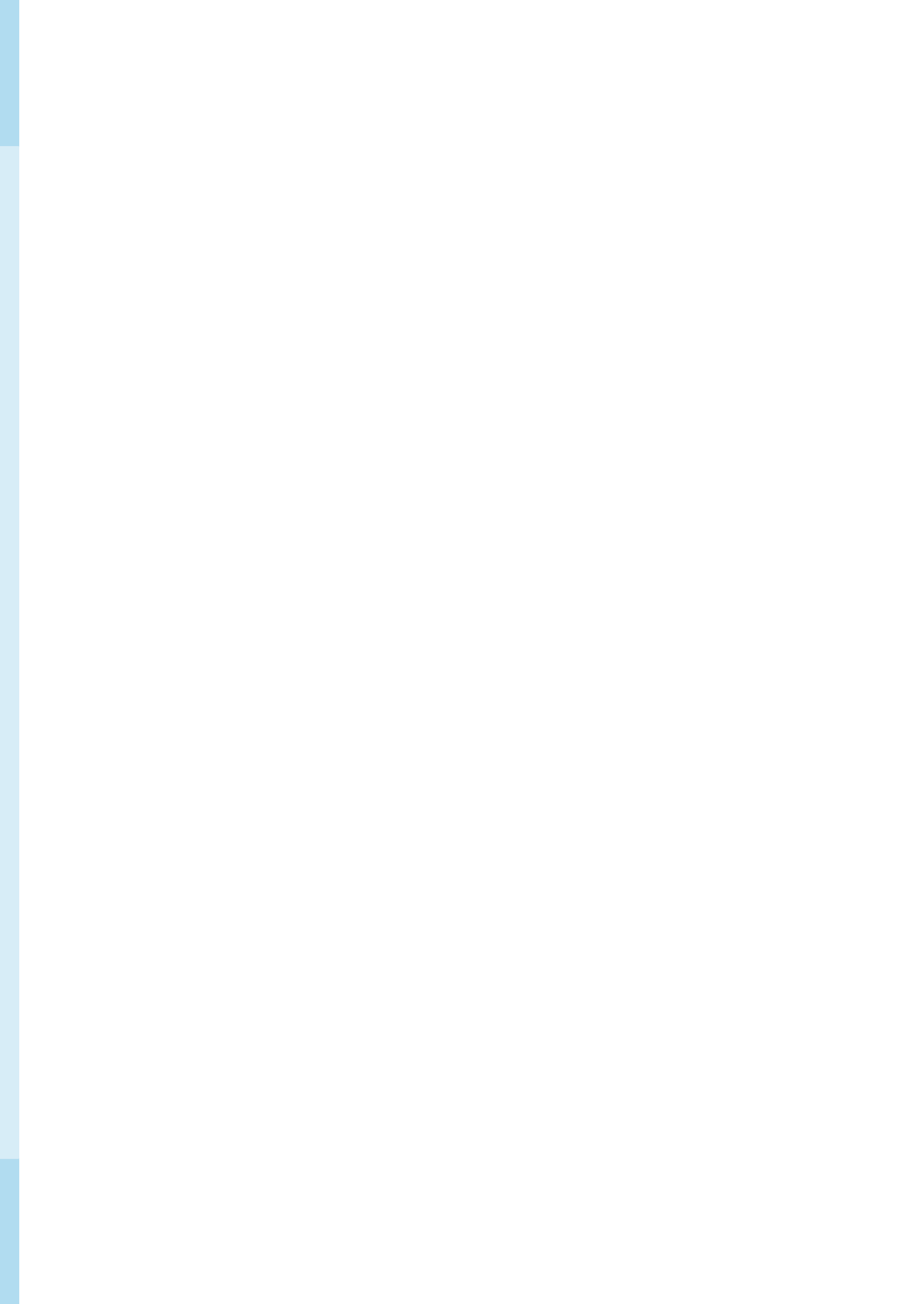
إن اليأس سجنٌ كبير بداخلك.

واعتقادك الباطل بأن التغيير في قائمة المستحيلات؛ هو سجن أكبر.

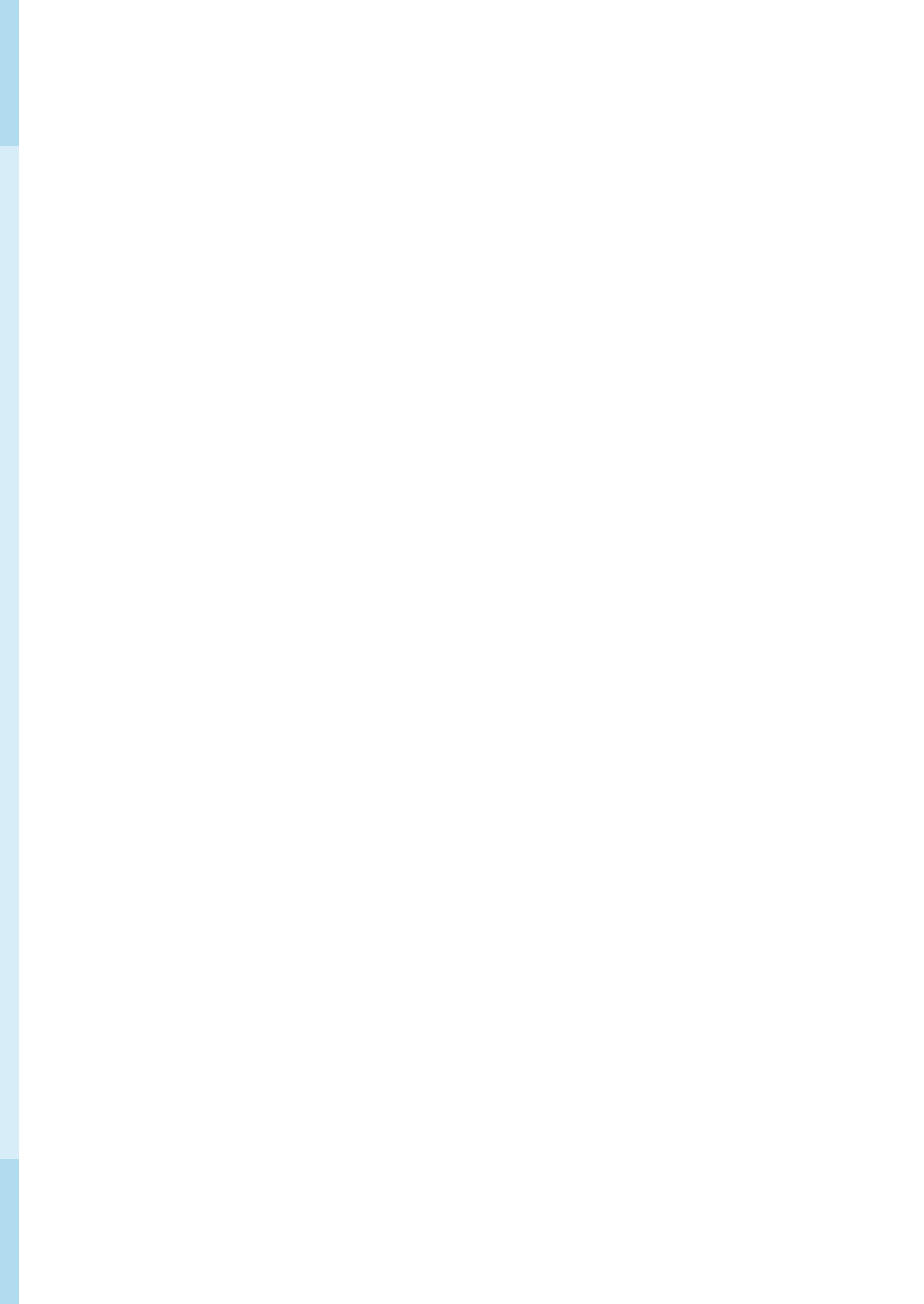
تحرر من اعتقاد الفشل المُطلق وجرِّب أن تعتقد شيئًا جديدًا.. شيئًا مبنيًّا على قوة الإرادة.

« فرقٌ كبير بين أن تعيش في سجن، وأن يعيش السجن فيك »

(نجيب الكيلاني)



إننا نتذمر دائمًا لأن الرحلة لم تنتهي ولم
نصل إلى النهاية!
لكننا في الواقع لم نبدأ الرحلة مطلقًا
لقد عرفنا ع فقط كيف نكون واكتفينا
بالترديد في حماس مصطنع



محتوى الكتاب

الموضوع	الصفحة